الإسراف في القرآن الكريم

(دراسة تفسيرية-موضوعية)

إعـداد

د/ رانيـا محـمد عزيز نظمي

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بقسم اللغة العربية

بكلية الآداب جامعة دمنهور

الملخص:

وقد حاولت من خلال هذه الدراسة عن «الإسراف في ضوء القرآن الكريم- أسبابه وعلاجه (دراسة موضوعية »، فكانت الدراسة قائمة على منهج التفسير الموضوعي، وتعرفنا من خلالها على معنى «الإسراف» لغة واصطلاحا، والعلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية، وورود «أسرف» ومشتقاتها في السياق القرآني من خلال الآيات المكية والمدنية، والموضوعات التي ناسبت كل مرحلة من هاتين المرحلتين، كما تعرفنا من خلالها على صور الإسراف وميادينه التي ذكرها القرآن الكريم، وكذلك تعرفنا على عقوبات المسرفين الدنيوية والأخروية، وكل ذلك في إطار دراسة قرآنية موضوعية، وها نحن نختم الدراسة بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث، وهي:

١ـ المعاني اللغوية للإسراف معاني شاملة عديدة، حيث ورد الإسراف في اللغة بمعنى مجاوزة الحد والقصد، والخطأ ووضع الشيء في غير موضعه وحقه، وبمعنى الجهل والغفلة والقلة والإفساد والولوع بالشيء، بينما مثَّل المعنى الاصطلاحي واحدا من هذه المعاني، وهو مجاوزة الحد، وبهذا يظهر للباحث أن المعاني اللغوية أعم وأشمل من المعنى الاصطلاحي.

٢ـ وردت لفظة «أسرف» ومشتقاتها في السياق القرآني في ثلاثة وعشرين موضعًا، موزعة على إحدى وعشرين آية وسبع عشرة سورة، وذلك على النحو التالي:

أ ـ وردت لفظة «أسرف» ومشتقاتها في ست عشرة آية مكية، موزعة على اثنتي عشرة سورة.

ب ـ وردت لفظة «أسرف» ومشتقاتها في ستة مواضع من كتاب الله، وخمس آيات موزعة على خمس سور.

٣ـ يتبين للباحث أن «أسرف» ومشتقاتها وردت في السياق المكي أكثر من ورودها في السياق المدني؛ لأن حاجة المجتمع المكي كانت تقتضي النهي عن صور الإسراف التي استفحلت في الحياة الجاهلية، فقد أكدت على النهي عن الإسراف في أموال اليتامى خاصة، والإسراف في المعاصي بصفة عامة.

وأما الآيات المدنية فقد أكدت على النهي عن الإسراف في أموال اليتامى، وكذلك نهت عن الإسراف في أموال الزكاة، وتحدثت عن إسراف بني إسرائيل في المعاصي للكشف عن وجوه وأخلاق اليهود الذين كانوا يمثلون شريحة سكانية كبيرة على أرض المدينة المنورة.

٤ـ من صور الإسراف وميادينه في القرآن الكريم الإسراف في النفقة، والإسراف في الزكاة والصدقات، والإسراف في القتل، والإسراف في مال اليتامى.

٥ـ تبين للباحث أن المسرفين الذين ذمهم القرآن على إسرافهم وخصص الحديث عنهم، هم قوم نبي الله لوط Ş الذين أسرفوا في اللواط، وفرعون وملؤه الذين أسرفوا في القتل خاصة، والتكبر والاستعلاء والإفساد في الأرض بصفة عامة، وكذلك بنو إسرائيل الذين استشرى بينهم القتل حتى طالت أياديهم الآثمة أنبياءهم ورسلهم.

٦ـ ظهر أيضا أن الله ﷻ قد عاقب المسرفين بعقوبات دنيوية وأخروية، أما العقوبات الدنيوية فهي إضلالهم وعدم هدايتهم، وعيشهم في ضنك، وتزيين

أعمالهم السيئة لهم، وإهلاكهم واستئصالهم، وأما عقوباتهم الأخروية فهي حشرهم عميانا بعد أن كانوا مبصرين في الدنيا والخلود في نار جهنم، والعياذ بالله.

وأخيرا قبل إنهاء الخاتمة، نذكر بعض التوصيات:

١ـ معرفة أسباب الإسراف؛ للابتعاد عنه قدر الاستطاعة قبل الوقوع فيه.

٢ـ وَضْع الحلول الشرعيَّة لعلاج ما أفسَده الإسراف في الدين والدنيا.

٣ـ معرفة وسائل علاج الإسراف؛ لإنقاذ من وقع فيه.

٤ـ يجب علينا أن نعلم أن ديننا لا يمنعنا أن يكون لنا ألوف وملايين، ولكن تكون في اليد لا في القلب.

٥ـ أن نحسن استعمال النعمة بشكرها حتى لا نعرضها للزوال، فشكر النعمة يحفظها من الزوال ويفتح باب المزيد، فشكر المنعم يحفظ النعمة من الزوال ويفتح باب المزيد،

Summary:
The study was based on the method of objective interpretation, and we learned through it the meaning of «extravagance» language and terminology, and the relationship between the meanings of language and terminology, and the roses «drained» And its derivatives in the context of the Koran through the verses of Mecca and civil, and subjects that fit each stage of these stages, as we learned through which the images of extravagance and fields mentioned by the Koran, as well as we know the penalties of foreign and mundane extras, all within the framework of a study of Quranic objective, We conclude the study The most important results reached by the researcher :through the research, namely
١ The linguistic meanings of the extravagance are many comprehensive meanings, where the extravagance in the language is expressed in the sense of exceeding the limit and the intention, the error and putting the thing in the wrong place and right, and the meaning of ignorance and negligence and a few and corruption and ignorance of the thing, while the meaning of conventional one of these meanings, which exceeds the limit, That linguistic meanings are more .general and comprehensive than the conventional meaning
٢ The word "Asraf" and its derivatives in the context of the Koran in twenty-three places, distributed on twenty-one verses and seventeen :Surat, as follows
A. The word "Asraf" and its derivatives were included in sixteen .verses of Makiya, distributed over twelve Surahs
B. The word "Asraf" and its derivatives came in six places from the .book of God, and five verses distributed on five walls
٣ The researcher finds that the "waste" and its derivatives came in the context of Makki more than they are in the civil context; because the need of the Makki community was to prevent the images of extravagance that have escalated in the life of ignorance, it stressed the prohibition on extravagance in the orphan funds especially, .General
As for the civil verses, she emphasized the prohibition on extravagance in orphans' money. She also forbade the extravagance of zakaah funds. She spoke about the extravagance of the children of Israel in committing sins to expose the faces and morals of the Jews, .who represented a large segment of the population in Medina

of the pictures of extravagance and its fields in the Holy Quran ٤
spending extravagance, and extravagance in zakat and charity, and
.extravagance in killing, and extravagance in the orphan money
It is clear to the researcher that the sinners who were insulted by the Qur'aan on their extravagance and devoted to talking about them are the people of the Prophet of God Lot who were transgressed in homosexuality, and Pharaoh and his servants, who were extravagant in the murder, especially arrogance and arrogance and corruption in the land in general. Their sinful hands are their prophets and
.messengers
It also appears that God I punished the infidels with worldly and ٦
other punishments, and the worldly punishments are their deception, lack of guidance, living in evil, decorating their bad deeds, destroying them and eradicating them. As for their other punishments, they blinded them blindly in the world and eternity in the fire of Hell, God
.forbid
:Finally, before concluding, we make some recommendations
To know the causes of extravagance; to move away from him as - ١
.much as possible before falling into it
Putting legal solutions to deal with what has been corrupted by the - ٢
.extravagance in religion and the world
؛Know the methods of treatment of extravagance ٣
We must know that our religion does not prevent us from having ٤
.thousands and millions, but be in the hand, not in the heart
to improve the use of grace thanksgiving so as not to offer them to ٥
disappear, thank the grace saves from the disappearance and opens the door more, thanked the gentleman saves the grace of the
،disappearance and opens the door more

بسم الله الرحمن الرحيم

خلق الله ﷻ الخلق من أجل عبادته، واستخلفهم على حمل الأمانة وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الشرائع والتكاليف التي تنظم حياتهم، وتُقوم العلاقة بينهم، وتحدد العلاقة التي تربطهم بخالقهم وبارئهم، وقد أمر الله ﷻ عباده أن يتعاملوا مع هذه التكاليف في حدود طاقاتهم، وفي إطار بشريتهم، فخاطبهم قائلا: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ البقرة: ٢٨٦، من غير إفراط في العبادة وإسراف في أدائها، وفي مقابل ذلك نهى الله ﷻ عن التفريط في دينه، والإسراف في المعاصي، وحَرْف البوصلة إلى غير الجهة والهدف الذي أراده الله لعباده حيث يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦.

وعلى هذا فالإسراف صفة ذميمة وخلق يبغضه الله سبحانه، سواء كان الإسراف في المباحات أو المحرمات؛ لأن كلا منهما انحراف عن منهج الله وإفراط أو تفريط في دين الله، ومع ذلك فإن رحمة الله الواسعة بعباده الشاردين في دروب التيه والضلال، المنغمسين في مستنقعات الإسراف بكل صوره وأشكاله، فهو سبحانه يوجه لهم دعوة مفتوحة إلى الأمل والرجاء والثقة بعفوه، فالله يعلم ضعف عباده، وأن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، فيمد الله لهم العون، ويوسع لهم أبواب الرحمة، ولا يأخذهم بمعصية حتى يهيئ لهم جميع الوسائل لإصلاح الأخطاء وتقويمها وإبعادهم من اليأس والقنوط، وفي ذلك يخاطبهم الله ﷻ بقوله: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ

ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر: ٥٣.

وتنبع أهمية هذا الموضوع من كونها تبين صور الإسراف في القرآن والكريم، وتضرب أمثلة لنماذج من المسرفين ذكرها القرآن الكريم لأخذ العبر والعظات، كما تتحدث هذه الدراسة حول عقوبات المسرفين الدنيوية والأخروية، فهذه الدراسة القرآنية دراسة هامة لها علاقة وطيدة بالواقع المعاش، حيث تعيش الأمة الإسلامية زمانا، ابتعد فيه كثير من أبنائها عن تعاليم دينهم، فمنهم من أسرف في المعاصي، متناسيا بأن لهذا الكون رقيبا لا يغفل ولا ينام، ومنهم من أسرف في المباحات إلى درجة التبذير والتفريط، اللذينِ يؤديان إلى الكفر بنعم الله واستخدامها في غير الوجوه المستحقة، متجاوزين الحدود التي ترضي خالقهم والمنعم عليه بهذه النعم،

دعوة الاسلام الى التوازن والترشيد، حريٌ بنا ان نعرض بعض جوانب ظاهرة «الإسراف» وكيف تؤثر سلبا على المجتمع بشكل قد يصل الى حد الازمة في بعض الأحيان.

الكثيرون منا ينفقون اموالا طائلة في شراء واقتناء اشياء لا يستفيدون منها تحت تأثير الاستجابة لفنون الاعلانات التجارية او لمجرد المباهاة والمفاخرة على الآخرين او لمجرد التقليد وأسباب كثيرة الكل يعرفها... لقد اندفع الى الشراء دون ان يسأل نفسه: لماذا يشتري هذه الاشياء؟ وهل هو في حاجة حقا؟ وماذا لو لم يشترها؟

وهل فكر وهو في حالة الهوس الانفاقي ان هناك من لم يجد ما يسد رمقه؟ هل تأمل حال فئات فقيرة من حوله لا تجد مأوى محترما تعيش فيه، فضلا عن حاجات المأكل والمشرب والملبس ومصاريف الصحة والتعليم؟ ألم يشعر بازدراء لقضية الانفاق اللامعقول، ويجد في نفسه رضا بحاله مقارنة مع غيره من هؤلاء، وبدافع انساني لمعونتهم وترك الشراء المسرف تعاطفا من ضميره معهم؟

لماذا لا يعتدل في انفاقه حتى يستطيع توفير حياة كريمة له ولأسرته بدلا من يصل به النهم في الشراء والسفر في الانفاق الى عدم مقاومة نفسه الجامحة الى حب التملك والبذخ، فيجد نفسه يوما مدفوعا للاستدانة وتراكم الديون والدخول في متاهة لا يعلم نهايتها الا الله... او ان تمتد يده الى ما حرم الله لتلبية شهوات نفسه وتحقيق رغباتها وساعتها قد لا يفيد الندم... ولمن لا يعتبر ان يذهب الى السجون.

لماذا لا يتعامل مع المال على انه نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى تحتاج الى تقدير وشكر المنعم بإنفاقها باعتدال وفي ما احله الله، ألم يعلم ان الاسلام نهى عن الإسراف والتبذير وذم الطغيان والترف في الانفاق؟

الإفراط في السرعة

ننتقل الى مثال آخر للاسراف، وهو الاسراف في ازهاق الارواح وتدمير المملتكات... انه الاسراف في قيادة السيارات والافراط في السرعة والتهاون في

حق الطريق وعدم الاكتراث بأرواح الناس... وهذا النوع من الاسراف يعد الاخطر على الاطلاق لأن عواقبه وخيمة ومفجعة لأسر ضحايا حوادث السير والسرعة الزائدة عن الحد، وكذلك للمجتمع الذي يجب ان يكون له وقفة حازمة في مواجهة هذا الخطر الذي يهدد استقراره، ووقفة المجتمع لابد ان تكون تضامنية بين مؤسساته الرسمية والشعبية لترسيخ الوعي لدى افراده للحد من خطورة هذه الظاهرة التي تتفاقم يوما بعد يوم بسبب الاسراف والتهور في القيادة، ولو ان كل متهور في قيادة سيارته فكر في ما قد يؤدي اليه هذا السلوك غير المسؤول لما اقدم عليه، وما اطلق لهوى نفسه العنان في ازهاق الارواح وإلحاق الاضرار الجسيمة بالناس وبالممتلكات، ولو فكر مرة في ان الاسلام يحرم على اتباعه تعريض الناس للخطر وإلحاق الاذى بهم كما امرنا الا نلقي بأيدينا الى التهلكة، وان نمتنع عن كل ما فيه ضرر او اذى لنا او لغيرنا، لو فكر في دمعة ام ثكلى فقدت ابنها... او زوجة فقدت زوجها... او اخ فقد اخاه... او ابن فقد اباه او امه... بسبب افراطه في السرعة وقيادة سيارته بتهور ولا مبالاة... لو فكر انه قد يحول انسانا من صحيح الى معاق او مشلول او طريح الفراش بقية حياته بسبب سلوكه هذا... ما اقدم عليه... ولأقلع عن اسرافه في السرعة وعاد الى رشده واعتداله وتوازنه... وليتنا نفعل!

أزمة المياه

أما النوع الثالث من الاسراف والذي يسبب ازمة حقيقية يشتكي العالم اجمع منها، وأصبحت تتصدر اولويات هموم سكان العالم خصوصا ان الخبراء يؤكدون انه

بحلول العام (٢٠٢٥) ستعاني (٤٨) دولة من نقص حاد في المياه ولن يجد نصف سكان الارض ما يكفيهم من المياه النظيفة وان الفقراء هم اول من سيعانون من نقص المياه وقد صدر منذ سنوات تقرير عن البنك الدولي حول ازمة المياه جاء فيه: ان (٨٠) دولة في العالم تضم (٤٠ في المئة) من سكانه مهددة بنقص المياه وان (٨٠ في المئة) من امراض مواطني العالم الثالث سببها المياه الملوثة وان عشرة ملايين شخص يموتون سنويا بالاسباب نفسها وان هنالك مليار شخص من الدول النامية يعانون من نقص مياه الشرب.

والماء نعمة من اعظم النعم التي خص الله سبحانه وتعالى بها جميع الاحياء على وجه الارض، قال تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» (الأنبياء ٣٠). ولقد نشأت الحياة منذ بدء الخليقة الى ان تقوم الساعة مرتبطة بالماء عصب الحياة، وأهم مكون من مكوناتها، ولهذا ارتبط استقرار الانسان على وجه الارض وازدهار حضارته بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمواقع مائية، وعرف بعضها بالمسمى المائي، مثل: حضارة ما بين النهرين، وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد ان تفجر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الانبياء ابراهيم عليه السلام.

والانتفاع بالماء كأساسي وسبب للحياة على الارض يتطلب المحافظة على مصادره نقية طاهرة دون تلوث، وترشيد استخداماته، خصوصا مع انتشار ظاهرة الفقر والشح المائي في العديد من مناطق العالم، فالمحافظة على الماء وعدم الاسراف فيه

وترشيد استهلاكه قضية مهمة جدا، ولذلك نرى ان المسلمين منذ فجر الاسلام حرصوا على الماء حرصا شديدا، وللاسلام السبق في اقرار مبادئ ترشيد الاستهلاك لكل ما في يد الانسان من نعم وثروات، باعتبار ان الاسراف والتبذير من اهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للحياة والاحياء في هذا الكون.

وقد اقام الاسلام منهجه في هذا الصدد على الامر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الانسان، وأقام بناءه كله على الوسطية والتوازن والقصد.

فالاسراف يعتبر سببا من اسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها، ما يؤدي الى اهلاك الحرث والنسل وتدمير البيئة.

ترشيد الطاقة

نأتي الى موضوع الساعة والشغل الشاغل للمجتمع الكويتي بهيئاته ومؤسساته وأفراده، وهو زيادة معدلات استهلاك الكهرباء ووصول الاحمال الى الخط الاحمر، ما ينذر بقدوم القطع المبرمج للتيار الكهربائي، ورغم ان الحالة لم تصل الى هذا الحد الا ان الشكوى من انقطاع التيار الكهربائي لا تنتهي لأنه امر واقع بالفعل، خصوصا ان انقطاع الكهرباء له اضرار عدة تتراوح وتتباين ما بين عدم القدرة على مواجهة حرارة الجو والرطوبة التي تسجل اعلى معدلات لها في هذه الايام والفترة المقبلة، وما بين المرضى والذين يعانون ازمات صحية مزمنة

خصوصا مرضى الربو الشعبي وحساسية الصدر وغيرهم، او تعريض الاسر والمطاعم وشركات التجهيزات الغذائية وأمثالها الى خسارة كبيرة بسبب انقطاع الكهرباء... والحديث عن اضرار انقطاع الكهرباء لا ينتهي... لكن في المقابل فإن الاسراف في استهلاك الكهرباء يؤدي الى كوارث اقتصادية وإنسانية وبيئية ولو اننا جميعا امتلكنا الوعي الكامل بمدى اهمية ترشيد استهلاك الكهرباء لجنبنا انفسنا ومجتمعنا كثيرا من هذه الكوارث.

ومنها ان الاسراف الزائد على الحد في استهلاك الكهرباء إلى زيادة الحمل الملقى على عاتق محطات توليد الكهرباء، وهذا معناه زيادة في استهلاك الوقود المستخدم لاغراض التوليد، وبالتالي زيادة في تلوث الهواء بسبب حرق كميات كبيرة من الوقود، وكذلك زيادة في استهلاك مياه التبريد لمعدات التوليد ومن ثم التلوث الحراري للمسطحات المائية التي تصب فيها مياه التبريد. كما ان زيادة الاحمال تؤدي إلى عدم قدرة محولات الكهرباء على مواجهة هذه الزيادة ما يؤدي إلى تدميرها اما عن طريق كثرة الاعطال التي تلحق بها، او اشتعال الحرائق في بعضها وهذا موجود وقائم على مدار الساعة.

على صعيد آخر، قد يؤدي الاسراف في استهلاك الكهرباء وعدم ترشيدها إلى وفاة مريض في غرفة العمليات، او مريض في العناية المركزة، عندما تنقطع الكهرباء فجأة عن الاجهزة الطبية المساعدة لابقاء المريض في حالة صحية ثابتة حتى

الانتهاء من ازمته الصحية او العملية الجراحية التي تجرى له.

علاقة الإسراف بالترشيد في الاستهلاك

نعود إلى مابدأنا به حديثنا لنبين بشكل عام كيف تعامل الاسلام مع قضية الاسراف والتبذير، وبداية يجب ان نوضح ان المنهج الاسلامي يرتبط بالغاية الاساسية من خلق الانسان وهي عبادة الله وعمارة الارض، وفي هذا المنهج فان الإنسان هو سيد في الكون وليس سيدا للكون، ومن ثم ليس له ان يفصل ما يشاء، وعليه ان يراعي حقوق الآخرين.. ومن هنا جاءت رؤية الاسلام لقضية الإسراف ودعوته إلى الاعتدال والترشيد.

يقول الله تعالى: «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً» (الاسراء: ٢٦-٢٧).

وفي حديث المغيرة ﷺ قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «ان الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، واضاعة المال، وكثرة السؤال». رواه البخاري.

فالله سبحانه وتعالى ينهانا في كتابه العزيز عن الاسراف والتبذير وتجاوز الحد في الانفاق، وفي الوقت نفسه يدعونا إلى التوسط والاعتدال وهما ابرز خصائص الشريعة الاسلامية. قال الله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها

كل البسط فتقعد ملوما محسورا».

وقال تعالى في صفات عباد الرحمن: (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما).

هذا هو ديننا، ينهانا عن الاسراف والتبذير، ويأمرنا بالاقتصاد والتوسط والاعتدال في الامور كلها، ولكن من المؤسف ان تغيب هذه الوسطية عن حياة كثير من الناس، فكم هم هؤلاء الذين تورطوا في الاسراف والتبذير؟ وكأنهم لم يقرأوا قول الله تعالى في كتابه الحكيم: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)، وكم هم هؤلاء الذين تجاوزوا ما يكفي ويغني إلى ما يلهي ويطغى؟ وكأنهم لم يسمعوا قول النبي ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير اسراف ولا مخيلة»، وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كل ما شئت والبس ما شئت، وما اخطأتك اثنتان سرف او مخيلة».

الإسلام لم يحرم زينة الحياة الدنيا والطيبات من الرزق كما حرمتها بعض الديانات والفلسفات، وانما حرم الاعتداء والطغيان والاسراف والتبذير في الاستمتاع بها، يقول الله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون).

ويقول تعالى (يأيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون).

ان الله جل وعلا انعم علينا نعما عظيمة كثيرة، وتفضل علينا بخيرات وفيرة، فكان من ذلك ان اغنانا بعد فقر، واطعمنا بعد جوع، وفتح لنا من ابواب الخير وسبل الرزق مالم يخطر لنا على بال، فلنشكر الله تعالى على ذلك حق الشكر، وذلك بالمحافظة على تلك النعم وعدم استخدامها بشكل فيه اسراف او تبذير، لان الله جل شأنه سيسألنا عن هذه النعم (ثم لتسألن يؤمئذ عن النعيم)، والنعيم المسؤول عنه نوعان:

نوع اخذ من حله، وصرف في حقه، فيسألنا عن شكره، ونوع اخذ بغير حله، وصرف في غير حقه، فيسألنا عن متخرجه ومصرفه، قال سيدنا معاوية ﷺ «مارأيت تبذيرا الا والى جانبه حق

واخيرا فان هذا الكلام يبقى نظريا ما لم ندرك ثلاثة امور مهمة جدا وهي:

- مراقبة الله تعالى، عملا بقول النبي ﷺ: «ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك».

- الاحساس بشعور الاخرين والتعاون معهم عملا بقول رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

- الانتماء إلى الوطن قلبا وقالبا، لان حب الوطن من الايمان.

وتقع هذه الدراسة في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

التمهيد: وقد اشتمل على أهمية الموضوع، وتكراره في آيات القرآن الكريم، وغايته وهيكليته.

المبحث الأول الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الإسراف.

أولا : الإسراف في اللغة، واصطلاحا

ثالثا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية (الشرعية).

ثانيا : الإسراف في الاستعمال القرآني، ومشتقاته

المبحث الثاني: المجالات التي تستخدم فيها مصطلح الإسراف.

وفيه أربعة مباحث:

اولا: الإسراف في المعتقدات.

ثانيا الإسراف في المال، وفيه:

أولا: الإسراف في النفقة.

ثانيا: الإسراف في الزكاة والصدقات.

ثالثا: الإسراف في مال اليتامى.

ثالثا : الإسراف في الجرائم، وفيه:

الإسراف في القتل.

رابعا: الإسراف في السلوك.

المبحث الثالث : الأساليب القرآنية في النهي عن الإسراف.

وفيه ثلاثة أوجه

أولا : أسلوب الطلب.

ثانيا: أسلوب المدح والذم.

ثالثا: أسلوب الثواب والعقاب.

المبحث الرابع : آثار وثمرات الإسراف وعواقبه.

أولا : آثار دنيوية على الفرد والمجتمع، وفيه:

١ـ عدم هدايتهم وإضلالهم.

٢- ضنك عيشهم.

٣- تزيين أعمالهم لهم.

٤- إهلاكهم واستئصالهم.

٥- مجاوزة حدود الله.

٦- كفر بنعمة الله.

٧- متابعة الشيطان ومؤاخاته.

٨- الحرمان من التوفيق والهداية الإلهية.

٩- إهدار المال.

١٠- الحسرة والندامة.

ثانيا : آثار أخروية، وفيه:

١- حشرهم يوم القيامة عميانا.

٢- المسرفون هم أصحاب النار.

٣- سوء الحساب يوم الدين (المساءلة بين يدي الله تعالى).

٤- التعرض لغضب الله والحرمان من محبته.

٥- العقاب الأليم.

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الإسراف

أولا : الإسراف في اللغة

لفظ «الإسراف» مأخوذ من «السَّرَف»، وهو في أصله اللغوي يدل على تعدي الحد.

قال ابن فارس: «السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد، والإغفال أيضا للشيء، تقول: في الأمر سرف أي مجاوزة القدر».[1]

فـ «الإسراف» و«السَّرَف» بمعنًى واحد، وهو مجاوزة القصد والحد، وقيل: السرف الخطأ ووضع الشيء في غير حقه، وسرف الشيء بالكسر سرفًا أغفله وأخطأه وجهله.

ويقال: «فلان سَرِفُ الفؤاد» أي مخطئ الفؤاد وغافله.

و«سرف العقل» قليله، كما يقال: «أسرف الرجل» إذا جاوز الحد، وأسرف إذا أخطأ، وأسرف إذا غفل، وأسرف إذا جهل.

وأما السرف الذي نهى الله عنه هو ما أنفق في غير طاعة الله قليلًا كان أو كثيرًا والإسراف في النفقة التبذير.[2]

---

١) «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ١٥٢).

٢) انظر: «لسان العرب» ـ ابن منظور ـ (٩/ ١٤٨، ١٤٩)، و«القاموس المحيط» ـ الفيروزآبادي ـ (ص/ ٨١٩)، و«تاج العروس» ـ الزبيدي ـ (٢٣/ ٤٢٨: ٤٣٣)، و«الإسراف في ضوء القرآن الكريم« ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٧٤)]، و«الموسوعة القرآنية» ـ إبراهيم الأبياري ـ (٨/ ٢٥٩)، و«مجلة البحوث الإسلامية» ـ الرئاسة العامة لإدارة البحوث ـ (٦٠/ ٣٣٧: ٣٤٠).

فـ «الإسراف» كما يكون من الغني فإنه يكون من الفقير، ولهذا قال سفيان الثوري ﷺ: «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً»[1]، وكذا قال ابن عباس ﷺ: «من أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف».[2]

قال الزمخشري: «السرف: الإفساد، ويقال مجازًا: هذه شاة مسروفة، إذا استئصلت أذنها، وسرفت المرأة ولدها، أفسدته بكثرة اللبن ومجاوزة الحد في الإرضاع ، ورجل سرف العقل والفؤاد أي فاسده، والسرف في النفقة هو مجاوزة الحد فيها».[3]

وورد في «المعجم الوسيط»: «سرف الطعام سرفًا، ائتكل حتى كأن السُرْفَةَ أصابته، وأسرف: جاوز الحد، يقال أسرف في ماله، وأسرف في الكلام وأسرف في القتل إذا جاوز حده في هذه الأمور.

والسرف: الولوع بالشيء، ويقال: سرف العقل: قليله وسرف الفؤاد وغافله».[4]

فمن خلال هذه المعاني اللغوية، يتبين للباحث أن الإسراف في اللغة قد يرد بمعان عديدة، منها: مجاوزة الحد، والقصد والخطأ ووضع الشيء في غير موضعه وحقه، وبمعنى الجهل والغفلة والقلة والإفساد والولوع بالشيء.

ذلك تعريف السرف لدى علماء اللغة.

فهو: «تجاوز حد الاعتدال، ووضع الشيء في غير موضعه».

---

١) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (ص/ ٤٠٧)، و«بصائر ذوي التمييز» ـ الفيروزآبادي ـ (٢/ ١٠٥، ٢١٦).

٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن« ـ القرطبي ـ (١٣/ ٧٢).

٣) «أساس البلاغة» ـ الزمخشري ـ (ص/ ٢٠٩).

٤) «المعجم الوسيط» ـ مجمع اللغة العربية ـ (١/ ٤٢٧ ـ بتصرف ـ).

وقد أدرج في التعريف اللغوي معان شرعية تؤول إلى المعنى اللغوي، مثل التعريف بأكل ما لا يحل أكله، والإنفاق في غير طاعة الله.

لذا ننتقل إلى المعنى الاصطلاحي (الشرعي) للسرف.

ثانيًا: السرف اصطلاحًا (شرعا)

تقاربت تعريفات العلماء للإسراف في الاصطلاح، وذلك على النحو التالي:

١ـ عرفه الإمام القرطبي بقوله: «هو الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد».[١]

٢ـ وعرفه الراغب بقوله: «السَّرَفُ: تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر».[٢]

٣ـ وقريب منه ما عرفه ابن حجر بقوله: «الْإِسْرَافُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ وَهُوَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَرُ».[٣]

٤ـ وعرفه الجرجاني بأنه مجاوزة الحد في النفقة.[٤]

٥ـ وعرفه الإمام الشوكاني بقوله: «الإسراف ما فيه مجاوزة الحد».[٥]

٦ـ وعرفه الإمام ابن عاشور بقوله: «الإسراف الإفراط والإكثار في شيء غير محمود».[٦]

---

١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٤٢).

٢) «المفردات في غريب القرآن» (ص/ ٤٠٧).

٣) «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٣)، وكذلك الفيروزآبادي؛ فانظر: «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ١٠٥).

٤) «التعريفات» (ص/ ٢٤)، وانظر: (ص/ ٢٣).

٥) «فتح القدير» ـ الشوكاني ـ (١/ ٣٨٧).

٦) «التحرير والتنوير» ـ ابن عاشور ـ (٢٤/ ١٣٠).

ويلاحظ الباحث التشابه شبه التام بين التعريفات الخمسة الأولى، حيث عد الأئمة القرطبي والراغب وابن حجر والجرجاني والشوكاني أن الإسراف هو مجاوزة الحد عمومًا سواء في أمر محمود أو مذموم.

أما الإمام ابن عاشور فقد ربط الإسراف بالأمور غير المحمودة فقط، صارفًا النظر عن الإسراف في الأمور المحمودة كالطعام والشراب والنفقة التي اعتبرها الله ﷻ تبذيرًا وإسرافًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء: ٢٦.

وقد وضع الباحث تعريفًا جامعًا مانعًا للإسراف وهو: «الإفراط ومجاوزة الحد في أمور محمودة أو مذمومة».

ثالثًا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

من خلال النظر في المعاني اللغوية والاصطلاحية تبين أن المعاني اللغوية للإسراف أعم وأشمل من المعاني الاصطلاحية؛ حيث ورد الإسراف في اللغة بمعنى مجاوزة الحد والقصد والخطأ ووضع الشيء في غير موضعه وحقه والجهل والغفلة والقلة والإفساد والولوع بالشيء، بينما مثَّل المعنى الاصطلاحي معنى واحدًا من المعاني اللغوية، وهو مجاوزة الحد والإفراط في الشيء، وعلى هذا فإن المعنى الاصطلاحي يعد جزءًا من المعاني اللغوية الشاملة.

ثانيا: الإسراف في الاستعمال القرآني

ذكرَ بعض الْمُفَسّرين أَن «السَّرف» فِي الْقُرْآن على سِتَّة أوجه:

أَحدهَا: الْخُرُوج عَمَّا يجب أو خلاف ما يجب فعله شرعا.

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ﴾ الإسراء: ٣٣، أَي: لَا تقتل غير من لَا يجب قَتله أو لا يقتل غير القاتل تشفياً وانتقاماً. وقد قالوا في معناه: فلا يسرف الولي في قتل القاتل، بأن يمثل به، أو يقتص من غير القاتل.

وَالثَّانِي: الْحَرَام.

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا ﴾ النساء: ٦، أي لا تأكلوا مال اليتامى حراما.

قال الطبري: «يعني: بغير ما أباحه الله لك» .[1]

وقال البغوي: «بغير حق» .[2]

وقال القرطبي: «بغير الواجب المباح لهم» .[3]

وكل هذه الأقوال مؤداها واحد، وهو حرمة أخذ مال اليتيم بغير وجه مشروع.

وَالثَّالِث: الإنفاق فِي الْمعْصِيَة أو فيما لا ينبغي.

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ ﴾ الفرقان: ٦٧، أي: لم ينفقوا أموالهم في معصية الله.

---

١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٦/ ٤٠٨).

٢) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (١/ ٥٦٩).

٣) «الجامع لأحكام القرآن« (٥/ ٤٠).

روى الطبري عن ابن عباس ﷺ، قال: «قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ﴾ الفرقان: ٦٧، قال: هم المؤمنون، لا يسرفون، فينفقون في معصية الله» .[١]

وقال ابن زيد: «كل ما أنفق في معصية الله، وإن قلَّ، فهو إسراف» .[٢]

وروي عن بعضهم أن المراد بـ «الإسراف» في الآية هنا: التجاوز في النفقة عن الحد المشروع، قال ابن كثير: «أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة».[٣]

فتكون الآية هنا على وَفْق المعنى الأول المتقدم.

وَالرَّابع: تَحْرِيم الْحَلَال أو التجاوز عن الحد المشروع، وهو معناه الأصلي.

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ الأعراف: ٣١، يعني ولا تحرموا الطيبات، أو لا تسرفوا في الأكل والشرب، وتجاوز الحد الذي شرعه الله لكم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي في تحريم الحلال.

ذكر ابن كثير عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١ في الطعام والشراب».[٤]

---

١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٧/ ٤٩٧).

٢) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٧/ ٤٩٨)، و«تفسير القرآن العظيم» - ابن أبي حاتم - (رقم/ ١٥٣٧٩).

٣) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٢٣، ١٢٤).

٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٠٧).

وذكر البغوي أن الإسراف المنهي عنه هنا، إنما هو تحريم ما أحل الله؛ إذ إن تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرمه يدخل في باب «الإسراف»؛ لأنه تجاوز لحدود الله، وتعدٍّ على ما شرعه لعباده.[1]

ونظير هذا قوله :﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾الأنعام: ١٤١.

واختار الطبري أن المراد: النهي عن الإسراف في كل شيء .[2]

وقد عقب ابن كثير على قول الطبري، فقال: «لا شك أنه صحيح، لكن الظاهر من سياق الآية، أن يكون عائداً على الأكل، أي: ولا تسرفوا في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن.»[3]

وَالْخَامِس: الشّرك بالله.

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ غافر: ٤٣، أَي المشركين.

قال قتادة وابن سيرين: «يعني المشركين» .[4]

وقال عكرمة: «الجبارون والمتكبرون» .[5]

وقيل: هم الذين تعدوا حدود الله، وهذا جامع لما ذُكر.

---

١) انظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (٢/ ١٨٨، ١٨٩).

٢) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٠/ ١٥٦).

٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٠٨).

٤) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢٠/ ٣٣٤)، و«الجامع لأحكام القرآن« ـ القرطبي ـ (١٥/ ٣١٧)، و «فتح القدير» ـ الشوكاني ـ (٤/ ٥٦٦).

٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن« ـ القرطبي ـ (١٥٤/ ٣١٧). «فتح القدير» ـ الشوكاني ـ (٤/ ٥٦٦).

قال الطبري: «المشركين بالله المتعدين حدوده، القتلة النفوس التي حرم الله قتلها، هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا إلى الله».[1]

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يونس: ٨٣.

قال البغوي: «أي: المجاوزين الحد؛ لأنه كان عبداً، فادعى الربوبية».[2]

ومثل ذلك قوله :ﷻ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الأنبياء: ٩.

قال قتادة: «﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾، المسرفون: هم المشركون».[3]

وَالسَّادِس: الإفراط فِي الذُّنُوب والمعاصي والإكثار منها.

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الزمر: ٥٣، أي: أكثروا من فعل الذنوب، وأفرطوا على أنفسهم بارتكاب المعاصي.

وذهب بعض المفسرين إلى أن «الإسراف» هنا يشمل إسراف المؤمن، وإسراف المشرك، قال الطبري: «عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك؛ لأن الله عمَّ بقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الزمر: ٥٣، جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفاً دون مسرف».[4]

وبما تقدم يتبين، أن المعنى الرئيس الذي يدور حوله لفظ «الإسراف» إنما هو تجاوز الحد المشروع، فكل من تجاوز ما شرعه الله فهو مسرف، و«الإسراف» قد يكون

---

١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢٠/ ٣٣٣).

٢) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (٢/ ٤٣٠).

٣) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٦/ ٢٣١).

٤) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢٠/ ٢٢٩).

بفعل المعاصي، وقد يكون بفعل الشرك، وقد يكون زيادة في فعل مباح أو مطلوب، وقد يكون نقصاً في فعل مطلوب، فكل ذلك تجاوزٌ لما شرعه الله لعباده، ورضيه لهم.

وقد تبين أيضاً، أن لفظ «الإسراف» أكثر ما جاء في القرآن الكريم بمعنى: الشرك بالله، والكفر به، يلي ذلك مجيئه بمعنى التجاوز في الإنفاق. ويضاف إلى ما تقدم، أن جميع المعاني التي جاء عليها لفظ «الإسراف» في القرآن الكريم، إنما هي معاني متداخلة ومترابطة، ويجمعها قاسم مشترك، هو تجاوز الحد المشروع، كما هو واضح لمن تأمل فيما تقدم.[1]

«أسرف» ومشتقاتها في السياق القرآني:

وردت مادة «سرف» ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثا وعشرين مرة بصيغة الفعل، والمصدر، واسم الفاعل.

فمن الأول (صيغة الفعل):

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الزمر: ٥٣.

وهذا يتناول الإسراف في الأموال وغيرها.[2]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧.

ومن الأول والثالث (صيغة الفعل واسم الفاعل):

---

١) انظر: «قاموس القرآن» = «إصلاح الوجوه والنظائر» - الدامغاني - (ص/ ٢٣٦، ٢٣٧)، و«نزهة الأعين النواظر» - ابن الجوزي - (ص/ ٣٦٣، ٣٦٤)، و«بصائر ذوي التمييز» - الفيروزآبادي - (٢/ ١٠٥).

٢) «بصائر ذوي التمييز» - الفيروزآبادي - (٣/ ٢١٦).

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنعام: ١٤١.

ومن ورود مادة «سرف» بصيغة المصدر:

قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ﴾ النساء: ٦.

هذا وبقية الآيات الأخرى التي وردت فيها مادة «سرف» جاءت في معانٍ أخرى غير الإسراف في الأموال، بل أكثرها جاء بمعنى الإسراف في الشرك والكفر والتكذيب.

كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ طه: ١٢٧.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر: ٢٨.

وقولـــه: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ الزخرف: ٥.

وربما جاءت المادة مطلقة لتشمل أنواع الإسراف، كما في الآية: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٣، وقد سبق إيرادها.

فإذا ما تجاوزنا المادة ذاتها (السرف) في القرآن الكريم إلى الآيات الكريمة التي جاءت في معنى السرف ذامة ومحذرة منه، فإننا واجدون آيات كثيرة:

ففي سياق النهي عن السرف في الأموال وإنفاقها، يقول سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الإسراء: ٢٦ - ٢٧، وغيرها كثير.[1]

والمواضع التي وردت فيها لفظة «أسرف» ومشتقاتها في السياق القرآني موزعة على إحدى وعشرين آية وسبع عشرة سورة على النحو التالي:

أولًا: «أسرف» ومشتقاتها في الآيات المكية:

وردت «أسرف» ومشتقاتها في الآيات المكية في ست عشرة آية موزعة على اثنتي عشرة سورة، وذلك على النحو التالي:

١- ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف: ٣١.

٢- ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ الأعراف: ٨١.

٣- ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ١٢.

٤- ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ يونس: ٨٣.

---

١) انظر: «مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام» ـ عبد الله الطريقي ـ (ص/ ٢٧: ٣١).

٥- ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ الإسراء: ٣٣.

٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ طه: ١٢٧.

٧- ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الأنبياء: ٩.

٨- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧.

٩- ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الشعراء: ١٥١.

١٠- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر: ٢٨.

١١- ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ غافر: ٣٤.

١٢- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ غافر: ٤٣.

١٣- ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ يس: ١٩.

١٤- ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ الزخرف: ٥.

١٥- ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الدخان: ٣١.

١٦- ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ الذاريات: ٣٤.

ثانيًا: «أسرف» ومشتقاتها في الآيات المدنية:

وردت «أسرف» ومشتقاتها في الآيات المدنية في ستة مواضع بخمس آيات موزعة على خمس سور على النحو التالي:

١- ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾ آل عمران: ١٤٧.

٢- ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ﴾ النساء: ٦.

٣- ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ المائدة: ٣٢.

٤- ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنعام: ١٤١.

٥- ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٥٣.

فمن خلال تتبع الآيات المكية والآيات المدنية التي وردت في سياقها «أسرف» ومشتقاتها، خرج الباحث بالنتائج الآتية:

١- وردت «أسرف» ومشتقاتها في الآيات المكية في ست عشرة آية واشتملت على الموضوعات الآتية:

أ- نهت الآيات المكية عن الإسراف في القتل الذي كان سائدًا في الجاهلية، حيث كان ولي المقتول يعمد إلى قتل من لا ذنب له، كشقيق القاتل أو أخيه أو ولده أو قتل القاتل بعد أخذ الدية والعفو، أو التمثيل في جثة القاتل بعد قتله وكلها صور من الإسراف في القتل نهى عنها الإسلام؛ منعًا للظلم وحفاظًا على الأبرياء من القتل.

ب ـ كما وردت «أسرف» ومشتقاتها في سياق الحديث عن المسرفين في المعاصي، من أبناء الأمم الماضية، مبينة بأن مصيرهم كان هلاكًا في الدنيا، وتوعدًا بالعذاب الأليم والخالد في نار جهنم يوم القيامة، وهي رسالة قوية وواضحة لأهل مكة المتكبرين والصادين عن سبيل الله الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي والكبائر بأن مصيرهم سيكون كمصير تلك الأمم المسرفة وأن مصير زعمائهم كمصير زعماء تلك الأمم.

ج ـ كما حثت الآيات المكية على الاعتدال في النفقة، ونهت عن الإسراف والتبذير في خطوة لتهذيب السلوك وتصحيح المسار وتوجيه الأموال في الوجوه المستحقة، وقد جاء هذا التوجيه الإلهي في العهد المكي لتغيير ما اعتاد عليه الناس في الجاهلية من إتلاف الأموال بدافع السخاء والكرم.

٢ـ وردت لفظة «أسرف» ومشتقاتها في الآيات المدنية في خمس آيات وتحدثت حول الموضوعات الآتية:

أ ـ نهت الآيات المدنية عن أكل أموال اليتامى إسرافًا وبدارًا، وهي عادة قبيحة كانت متفشية في الجاهلية.

ب ـ كما وردت إحدى مشتقات «أسرف» في الحديث عن إسراف بني إسرائيل في الأرض، وقتلهم لأنبيائهم ولبعضهم البعض، وكان ذلك مناسبًا في العهد المدني؛ ليتعرف المؤمنون على حقيقة يهود وتاريخهم وماضيهم حتى يحذروا شرهم ويتقوا مكرهم.

ج ـ كما نهت الآيات المدنية عن الإسراف في الزكاة والصدقة، بحيث يزكي صاحب الزرع يوم الحصاد بكل حصاده فيصبح فقيرًا يحتاج إلى من يتصدق عليه.

د ـ كما بينت الآيات المدنية أن الإسراف بأي صورة من صوره، معصية توجب التوبة والإنابة، ودعت المسرفين على أنفسهم بعدم القنوط من رحمة الله ووعدت التائبين بمغفرة ذنوبهم وقبول توبتهم.

وبهذا يتبين لنا الموضوعات التي تطرقت إليها الآيات المكية والآيات المدنية والتي وردت فيها «أسرف» ومشتقاتها؛ مناسبة لوضع الدعوة الإسلامية في كل مرحلة من مراحلها.[1]

١) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم« ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٧٦: ٣٧٨)].

المبحث الثاني: المجالات التي تستخدم فيها مصطلح الإسراف

مجالات الإسراف كثيرة جدا، لا تكاد تنحصر، حيث تشمل كل شئون الحياة الدينية والدنيوية، ومن ثم تدخلها الأحكام التكليفية الخمسة كلها: الوجوب، والندب، والإباحة، والتحريم، والكراهة.

ومجموع الآيات التي تعرض القرآن الكريم فيها للإسراف ومشتقاته ينبئ عن وخامة الإسراف وخطره على مختلف الأصعدة.

وفي هذا الفصل نذكر أهم المجالات التي يدخلها «الإسراف»، ووردت في سياق القرآن الكريم.

أولا : الإسراف في المعتقدات

من النصوص العامة الداعية إلى التوسط:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ المائدة: ٧٧،

وقوله ﷺ: «عليكم هدياً قاصداً، عليكم هديا قاصداً، عليكم هدياً قاصداً»[1] أي طريقا معتدلاً.

وقوله ﷺ: «السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»[2]، ومدحت الأمة المسلمة بالوسطية، فقال عز من قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٥٠، ٣٦١)، وابن خزيمة (رقم/ ١١٩)، والحاكم (١/ ٣١٢) ـ وصححه ـ، من حديث بريدة، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦٢): «رجال أحمد موثقون»، وصححه الألباني؛ فانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم/ ١٧٦٠)، وروي من حديث أبي برزة، ولكنه وهم؛ فانظر: «مسند الإمام أحمد» (٤/ ٤٢٢).

٢) أخرجه الترمذي [أَبْوَابُ «البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، بَابُ «مَا جَاءَ فِي التَّأَنِّي وَالعَجَلَةِ»، (رقم/ ٢٠١٠)] من حديث عبد الله بن سرجس، وروي كذلك عن غيره، وحسنه الترمذي والألباني.

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣.[1]

وقد جاءت مادة «سرف» مطلقة لتشمل أنواع الإسراف، كما في الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾الزمر: ٥٣، وقد سبق إيرادها.

وأكثر الآيات التي وردت فيها مادة «سرف» جاءت بمعنى الإسراف في الشرك والكفر والتكذيب:

كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ طه: ١٢٧.

قال ابن كثير: «يَقُولُ تَعَالَى: وَهَكَذَا نُجَازِي الْمُسْرِفِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ الرعد: ٣٤، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ طه: ١٢٧ أَيْ: أَشَدُّ أَلَمًا مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، وَأَدْوَمُ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْمُتَلَاعِنِينَ: «إِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عذاب الآخرة».[2]

---

١) انظر: «مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام» ـ عبد الله الطريقي ـ (ص/ ٧، ٨).

٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥١٦)، والحديث أخرجه البخاري [كِتَابُ «تَفْسِيرِ القُرْآنِ»، بَابُ «قَوْلِهِ: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ النور: ٩، (رقم/ ٤٧٤٨، وأطرافه فيه)]، ومسلم [كِتَابُ «الطَّلَاقِ»، بَابُ «انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ»، (رقم/ ١٤٩٣)] ـ واللفظ له ـ من حديث ابن عمر.

وقال السعدي: «﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه».[1]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ الزخرف: ٥.

قال قتادة: «أي مشركين».[2]

ثانيا : الإسراف في المال

أعراض الدنيا عارية في أيدي الناس مستردة، كما قيل:[3]

وما المال والأهلون إلا وديعة * * * ولا بد يومًا أن ترد الودائع

وهي من وجه منيحة: منحت الإنسان لينتفع بها مدة، ويذرها لينتفع بها من بعده. ومن وجه وديعة في يده: رخص له في استعمالها والانتفاع بها بعد أن لا يسرف فيها.[4]

---

١) «تيسير الكريم الرحمن» ـ السعدي ـ (ص/ ٥١٦).

٢) أخرجه البخاري تعليقا [كِتَابُ «تَفْسِيرِ القُرْآنِ»، بَابُ «قَوْلِهِ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ الزخرف: ٧٧، (رقم/ ٤٨١٩)]، ووصله الطبري في «التفسير» (٢٠/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم (رقم/ ١٨٤٩٦)، وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٣٠٩).

٣) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص/ ٤٥)، و«دواوين الشعر العربي على مر العصور» (٣/ ٣٩٣).

٤) انظر: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ـ الراغب الأصبهاني ـ (ص/ ٢٧٨).

أولا: الإسراف في النفقة

يعد الإسراف دربًا من دروب الفساد في الأرض؛ لأن فيه تبديدًا للأموال في غير وجوهها المستحقة، وجحدا لنعمة الله ﷻ، بالإضافة إلى ما يحدثه الإسراف من فساد في القلوب والأخلاق واختلال في الحياة الاجتماعية، لذلك نهى القرآن الكريم عن الإسراف وبين أن المسرفين فئة لا يحبها الله، حيث يقول :ﷻ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١

قال بعض السلف في تفسير هذه الآية: «جمع الله الطب كله في نصف آية ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١.[1]»

وقال ابن عباس ﷺ: «كل ما شئت والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة».[2]

وقال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف؛ فإن الله يحب أن ترى نعمته على عبده».[3]

---

١) انظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن» ـ البغوي ـ (٢/ ١٨٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» ـ القرطبي ـ (٧/ ١٩٢)، و«تفسير القرآن العظيم» ـ ابن كثير ـ (٣/ ٤٠٦).

٢) أخرجه البخاري تعليقا [كتاب «اللباس»، باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ الأعراف: ٣٢»، (٧/ ١٤٠)]، ووصله ابن أبي شيبة (رقم/ ٢٥٣٧٥، ٢٧١٣٣) بإسناد رجاله ثقات، وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٥٢: ٥٤).

٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٨٢) ـ واللفظ له ـ، والبخاري تعليقا [«كتاب اللباس»، باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ الأعراف: ٣٢»، (٧/ ١٤٠)]، والترمذي [أَبْوَابُ «الْأَدَبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، بَابُ «مَا جَاءَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»، (رقم/ ٢٨١٩)]، والنسائي [كِتَابُ «الزَّكَاةِ»، باب «الِاخْتِيَالُ فِي الصَّدَقَةِ» (٥/ ٧٩)]، وابن ماجه [كِتَابُ «اللِّبَاسِ»، بَابُ «الْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَكَ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ»، (رقم/ ٣٦٠٥)] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحسنه الترمذي والألباني.

وقال رسول الله ﷺ كذلك: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان فاعلًا لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».[1]

ويقول الشوكاني: «أمر الله ﷻ عباده بالأكل والشرب ونهاهم عن الإسراف، فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه، وهو من أهل النار ... والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه، ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعي على نفسه وعلى من يعول مخالفًا لما أمر الله به وأرشد إليه، والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير مخالف لما شرعه الله لعباده وواقع في النهي القرآني، وهكذا من حرم حلالًا أو أحل حرامًا فإنه يدخل في المسرفين ويخرج عن المقتصدين، ومن الإسراف الأكل لا حاجة وفي وقت شبع».[2]

ويقول الطاهر ابن عاشور: «الإسراف هو تجاوز الحد المتعارف عليه في الأكل والشرب والمعنى: ولا تسرفوا في الأكل بكثرة أكل اللحوم والدسم؛ لأن ذلك يعود بأضرار على البدن، وتنشأ منه أمراض معضلة، وقد قيل: إن هذه الآية قد جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء؛ فالنهي عن السرف نهي إرشاد، لا نهي تحريم؛ بقرينة الإباحة اللاحقة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ

---

١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٢)، والترمذي [أَبْوَابُ «الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، بَابُ «مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الأَكْلِ» (رقم/ ٢٣٨٠)]، وابن ماجه [كِتَابُ «الْأَطْعِمَةِ»، بَابُ «الِاقْتِصَادِ فِي الْأَكْلِ، وَكَرَاهَةِ الشِّبَعِ»، (رقم/ ٣٣٤٩)]، وصححه الترمذي والألباني.

٢) «فتح القدير» ـ الشوكاني ـ (٢/ ٢٠٠).

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٢، ولأن مقدار الإسراف لا ينضبط، فلا يتعلق به التكليف، ولكن يوكل إلى تدبير الناس مصالحهم، وهكذا راجع إلى معنى القسط الواقع في قوله سابقًا: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾ الأعراف: ٢٩، فإن ترك السرف من معنى العدل».[1]

والباحث يوافق رأي الإمام ابن عاشور بأن النهي عن السرف نهي إرشاد، وليس نهي تحريم في بعض الحالات، ويخالفه في حالات أخرى، فإذا تجاوز الإسراف حدود إمكانيات المسرف، بحيث أحدث خللًا في التوازن الاقتصادي للأسرة، فإن ذلك يدخل في دائرة التبذير غير المحمود، وكذلك إذا كان الإسراف في ظل وضع اقتصادي صعب، بحيث يعيش نسبة من أبناء المجتمع على الكفاف والقلة، فالأولى توجيه هذه الأموال الزائدة لفقراء المجتمع ومساكينهم؛ لنقلهم من حالة الفقر إلى حد الكفاية، فالإسراف والتبذير في ظل الوضع الاقتصادي يصل إلى درجة التحريم، ويكون المسرف والمبذر من إخوان الشياطين؛ لاشتراكهم معهم في جحد نعمة الله سبحانه، لذلك نهى الله ﷻ عن التبذير ووصف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين، حيث يقول سبحانه ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ الإسراء: ٢٦ .٢٧ –

فالتبذير المنهي عنه في هذه الآية إنفاق من المال في غير حقه، وقال بعض السلف: هو أخذ المال من حقه، ووضعه في غير حقه، وهو الإسراف وهو حرام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ الإسراء: ٢٧، يعني أنهم في حكمهم؛

---

١) «التحرير والتنوير» ـ ابن عاشور ـ (٨/ ٩٥).

إذ المبذر ساع في الإفساد كالشياطين، فمن أنفق ماله في الشهوات زائدًا على قدر الحاجات وعرضه لذلك للنفاد، فهو مبذر ومن أنفق درهمًا في حرام فهو مبذر.[1]

وأما عن حدود الإسراف والتبذير، فيقول سيد قطب: «فالقرآن الكريم ينهى عن التبذير، والذي هو إنفاق المال في غير حقه، فلو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مدًا في غير حق كان مبذرًا، فليست هي الكثرة والقلة في الإنفاق، إنما هو موضع الإنفاق، ومن ثم كان المبذرون إخوان الشياطين؛ لأنهم ينفقون في الباطل وينفقون في الشر وينفقون في المعصية، فهم رفقاء الشياطين وأصحابهم ، فالشيطان لا يؤدي حق النعمة، وحقها أن ينفقوها في الطاعات والحقوق، غير متجاوزين ولا مبذرين».[2]

فالتوازن في النفقة هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن الاقتصادي، فالتوازن والاعتدال في النفقة سمة من سمات الإيمان، يحققها الإسلام في الأفراد والجماعات، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به، وانتفاع الجماعة من حوله، والإسراف والتقتير يحدثان اختلالًا في المحيط الاجتماعي والحياة الاقتصادية، بالإضافة إلى فساد القلوب والأخلاق[3]، لذلك أمر الله ﷻ المؤمنين

---

١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ـ القرطبي ـ (١٠/ ٢٥٢، ٢٥٣)، و«الإسراف في ضوء القرآن الكريم» ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٨٠، ٣٨١)].

٢) انظر: «في ظلال القرآن» ـ سيد قطب ـ (٤/ ٢٢٢٢)، و«الإسراف في ضوء القرآن الكريم» ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٨١)].

٣) انظر: «في ظلال القرآن» ـ سيد قطب ـ (٥/ ٢٥٧٩).

بالتوازن والتوسط في النفقة، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩.

وملاحظة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان: ٦٧، تلك هي أن الذي يخطئ بالإسراف في عمل معين، ينتهي غالبًا إلى أن يخطئ بالتقتير في نفس العمل، بل وقد يعرض عنه إعراضًا نهائيًّا.(١)

كما مدح الله ﷻ المحافظين على هذه الوسطية وهذا التوازن، وعدَّهم من عباد الرحمن، فقال :ﷻ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ...ئى ئي بج بح بخ ئى ئم وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان: ٦٣-٦٧.

ثانيًا: الإسراف في الزكاة والصدقات

الإسراف في ميدان الزكاة والصدقات صورة من صور الإسراف التي نهى عنها السياق القرآني، فقال سبحانه: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنعام: ١٤١.

واختلفت آراء السلف حول معنى ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ ﴾ فذهب بعضهم إلى أن المقصود بها الزكاة المفروضة، واختلفوا في المقدار بحسب السقي من السماء أو العين، بين العشر ونصف العشر، وذهب بعض العلماء أن المقصود به حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر من الفقراء والمساكين، وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ

(١) انظر: «دستور الأخلاق في القرآن» - محمد دراز - (ص/ ٧٨).

حَصَادِهِۦ ﴾ فقد نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، الذي قطف ثمار خمسمائة نخلة في يوم واحد، ووزعها على الفقراء والمساكين ولم يترك لأهله شيئًا، فنزلت الآية.[1]

وفي ذلك يقول السدي: «معناه لا تعطوا أموالكم وتقعدوا فقراء».[2]

وقال الزجاج: «فعلى هذا، لو أعطى الإنسان كل ماله، ولم يوصل إلى عياله شيئًا فقد أسرف».[3]

ويقول ابن كثير: «قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾، معناه لا تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف، وقال السدي في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾، معناه لا تعطوا أموالكم وتقعدوا فقراء، وقال ابن جريج: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جذَّ نخلًا له، فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته. فأطعم حتى أمسى، وليست له ثمرة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾، وقد اختار ابن جرير قول عطاء أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر، والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا

(١) انظر: «أسباب النزول» - الواحدي - (ص/ ١٤٧).

٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» - ابن أبي حاتم - (رقم/ ٧٩٦٧)، و«معالم التنزيل في تفسير القرآن» - البغوي - (٢/ ١٦٤)، و«تفسير القرآن العظيم» - ابن كثير - (٣/ ٣٤٩).

٣) «معاني القرآن» - الزجاج - (٢/ ٢٩٧).

﴿تُسۡرِفُوٓاْ﴾ أن يكون عائدًا على الأكل، أي لا تسرفوا في الأكل، لما فيه من مضرة العقل والبدن».[1]

ويرى الباحث أن رأي ابن جرير هو رأي صائب، وهو أن النهي عن السرف، هو نهي عن الإسراف في كل شيء يتجاوز فيه حدود الله وأوامره ونواهيه، لكن النهي في هذا الموضوع بالذات مقترن بقرينة تدل عليه في سياق الآية، وهي قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ مما يدل على أن السرف المنهي عنه في الآية هو السرف في الأكل، وهو ما ذهب إليه الإمام ابن كثير ويرجحه ويؤيده الباحث في هذا الترجيح ويميل إليه.

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه الإمام محمد الطاهر ابن عاشور حيث يقول: «وقوله: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ عطف على ﴿كُلُواْ﴾ أي كلوا غير مسرفين، وهو نهي إرشاد وإصلاح، أي لا تسرفوا في الأكل فالإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمات كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة، فلا يقف عند حد، وقيل عطف على ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ أي ولا تسرفوا فيما بقي بعد إتيان حقه، فتنفقوا أكثر مما يجب، وهو لا يكون إلا في الإنفاق والأكل ونحوه، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾، استئناف قصد به تعميم حكم النهي عن الإسراف وأكد بـ «إن» لزيادة تقرير الحكم، فبين أن الإسراف من الأعمال التي لا

١) «تفسير القرآن العظيم» - ابن كثير - (٣/ ٣٤٩، ٣٥٠).

يحبها، وهو من الأخلاق التي يلزم الانتهاء عنها، ونفي المحبة مختلف المراتب يشتد ويقل بمقدار قوة الإسراف ودرجته».[1]

وأورد فخر الدين الرازي في معنى الإسراف في هذه الآية أربعة أقوال:

الأول: أن الإنسان إذا أعطى كل مال، ولم يوصل إلى عياله شيئًا، فقد أسرف، وعلى هذا فمعنى ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾: لا تعطوا كله.

الثاني: قال سعيد بن مسيب: «﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ أي لا تمنعوا الصدقة».

وهذان القولان يشتركان في أن المراد من الإسراف مجاوزة الحد، إلا أن القول الأول مجاوزة الإعطاء، والثاني: مجاوزة في المنع.

والثالث: قال مقاتل: «معناه لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام»، وهذا أيضًا من باب المجاوزة؛ لأن من أشرك الأصنام في الحرث والأنعام فقد جاوز ما حد له.

الرابع: قال الزهري: «معناه لا تنفقوا في معصية الله تعالى».

قال مجاهد: «لو كان أبو قبيس ـ وهو جبل معروف في الجزيرة العربية ـ ذهبًا، فأنفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفًا، ولو أنفق درهمًا في معصية الله كان مسرفًا»، وهذا المعنى أراده حاتم الطائي حين قيل له: «لا خير في السرف». فقال: «لا سرف في الخير».[2]

---

١) «التحرير والتنوير» ـ ابن عاشور ـ (٨/ ١٢٢، ١٢٣ ـ بتصرف يسير ـ)، وانظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم» ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٨٣)].

٢) «مفاتيح الغيب» = «التفسير الكبير» ـ الرازي ـ (١٣/ ٢٢٦).

ويرى الباحث أن أقرب المعاني وأنسبها لمعنى الآية هو القول الأول؛ لأن النهي عن الإسراف كان في سياق الحديث عن الأكل من الثمر وأداء زكاته، فدل ذلك على أن إنفاق الثمر كله يوم الحصاد وحرمان الأهل والعيال منه بالكلية صورة من صور الإسراف المنهي عنه.[1]

وقَال الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩، «لاَ تُخْرِجْ جَمِيعَ مَا فِي يَدِك مَعَ حَاجَتِكَ وَحَاجَةِ عِيَالِكَ إِلَيْهِ، فَتَقْعُدَ مُنْقَطِعًا عَنِ النَّفَقَةِ وَالتَّصَرُّفِ، كَمَا يَكُونُ الْبَعِيرُ الْحَسِيرُ، وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلاَ انْبِعَاثَ بِهِ، وَقِيل: لِئَلاَّ تَبْقَى مَلُومًا ذَا حَسْرَةٍ عَلَى مَا فِي يَدِكَ، لَكِنَّ الْمُرَادَ بِالْخِطَابِ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَتَحَسَّرُ عَلَى إِنْفَاقِ مَا حَوَتْهُ يَدُهُ فِي سَبِيل اللهِ، وَإِنَّمَا نَهَى اللهُ عَنِ الإِفْرَاطِ فِي الإِنْفَاقِ وَإِخْرَاجِ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ يَدُهُ مِنَ الْمَال مَنْ خِيفَ عَلَيْهِ الْحَسْرَةُ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْ يَدِهِ، وَقَدْ قَال النَّبِيُّ ﷺ: «يَأْتِي أَحَدُكُمْ بِمَا يَمْلِكُ، فَيَقُول: هَذِهِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ يَقْعُدُ يَسْتَكِفُّ النَّاسَ، خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى»[2]، فَأَمَّا مَنْ وَثِقَ بِمَوْعُودِ اللهِ وَجَزِيل ثَوَابِهِ فِيمَا أَنْفَقَهُ فَغَيْرُ مُرَادٍ بِالآْيَةِ، وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ فُضَلاَءِ الصَّحَابَةِ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيل اللهِ جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ، فَلَمْ يُعَنِّفْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِصِحَّةِ يَقِينِهِمْ وَشِدَّةِ بَصَائِرِهِمْ».[3]

---

١) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم» ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٨٤)].

٢) أخرجه أبو داود [كِتَاب «الزَّكَاةِ»، بَابُ «الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ»، (رقم/ ١٦٧٣)]، وفي إسناده ابن إسحاق، وصححه ابن خزيمة (رقم/ ٢٤٤١) وابن حبان (رقم/ ٣٣٧٢)، والحاكم (١/ ٥٧٣)، وانظر: «إرواء الغليل» (٣/ ٤١٦).

٣) انظر: «أحكام القرآن» ـ الجصاص ـ (٣/ ٢٤٦)، و«أحكام القرآن» ـ ابن العربي ـ (٣/ ١١٩٢، ١١٩٣)، و«مفاتيح الغيب» = «التفسير الكبير» ـ الرازي ـ (٢٠/ ٩٣).

وَفِي ضَوْءِ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ صَرَّحَ الْفُقَهَاءُ أَنَّ الأَوْلَى أَنْ يَتَصَدَّقَ مِنَ الْفَاضِلِ عَنْ كِفَايَتِهِ وَكِفَايَةِ مَنْ يُمَوِّنُهُ عَلَى الدَّوَامِ، وَمَنْ أَسْرَفَ بِأَنْ تَصَدَّقَ بِمَا يُنْقِصُهُ عَنْ كِفَايَةِ مَنْ تَلْزَمُهُ مُؤْنَتُهُ، أَوْ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِنَفَقَةِ نَفْسِهِ - وَلاَ كَسْبَ لَهُ - فَقَدْ أَثِمَ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقوت»[1] وَلأَنَّ نَفَقَةَ مَنْ يُمَوِّنُهُ وَاجِبَةٌ، وَالتَّطَوُّعُ نَافِلَةٌ، وَتَقْدِيمُ النَّفْلِ عَلَى الْفَرْضِ غَيْرُ جَائِزٍ، وَلأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَخْرَجَ جَمِيعَ مَالِهِ لاَ يَأْمَنُ فِتْنَةَ الْفَقْرِ وَشِدَّةَ نِزَاعِ النَّفْسِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَيُذْهِبُ مَالَهُ، وَيُبْطِلُ أَجْرَهُ، وَيَصِيرُ كَلًّا عَلَى النَّاسِ.

أَمَّا مَنْ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ حُسْنَ التَّوَكُّلِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْفَقْرِ، وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، أَوْ كَانَ ذَا مَكْسَبٍ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ، فَلَهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِكُلِّ مَالِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَلاَ يُعْتَبَرُ هَذَا فِي حَقِّهِ إِسْرَافًا[2]؛ لِمَا رُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ[3] فَهَذَا كَانَ فَضِيلَةً فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ، لِقُوَّةِ يَقِينِهِ وَكَمَالِ إِيمَانِهِ، وَكَانَ أَيْضًا تَاجِرًا ذَا مَكْسَبٍ.[4]

ثالثًا: الإسراف في مال اليتامى

اليتيم في الإسلام من فقد أباه ومعيله قبل سن البلوغ، هذا السن يحتاج صاحبه إلى عناية ورعاية ووصاية على ماله إن كان له مال، والوصي على مال اليتيم هو أمين

---

١) أخرجه أبو داود [كِتَاب «الزَّكَاةِ»، بَابٌ «فِي صِلَةِ الرَّحِمِ»، (رقم/ ١٦٩٢)] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وحسنه الألباني.

٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٢٥١)، و«حاشية ابن عابدين» (٢/ ٧١)، و«المغني» - ابن قدامة - (٣/ ٨٢، ٨٣)، و«حاشيتا قليوبي وعميرة» (٣/ ٢٠٥)، و«أحكام القرآن» - ابن العربي - (٣/ ١١٩٣).

٣) أخرجه أبو داود [كِتَاب «الزَّكَاةِ» بَابٌ «فِي الرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ»، (رقم/ ١٦٧٨)]، والترمذي [أَبْوَابُ «الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، (رقم/ ٣٦٧٥)]، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وحسنه الألباني.

٤) انظر: «الموسوعة الفقهية الكويتية» - وزارة الأوقاف الكويتية - (٤/ ١٨٣، ١٨٤).

عليه، يجب أن يتعفف عنه إن كان غنيًا، وأن يأكل منه بالمعروف إن كان فقيرًا محتاجًا، وقد نظم الله سبحانه عملية إعادة مال اليتيم إليه على مراحل؛ لتعود أمانته إليه حين يصبح قادرًا على التصرف به بحكمة وأناة وروية، وقد حذر الله الأوصياء من الإسراف والتبذير في أموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم في حال فقرهم، وفي ذلك يقول جل في علاه: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ النساء: ٦.

نزلت هذه الآية في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك أن رفاعة توفي، وترك ابنه وهو صغير فأتى عم ثابت إلى النبي ﷺ فقال: «إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله؟» فأنزل الله تعالى هذه الآية.(١)

يقول القرطبي في معنى الآية: «اختلف العلماء في معنى الاختبار، فقيل: هو أن يتأمل الوصي أخلاق يتيمه ويستمع إلى أغراضه، فيحصل له العلم بنجابته والمعرفة بالسعي في مصالحه وضبط ماله ... فإذا توسم الخير، قال علماؤنا وغيرهم: لا بأس أن يدفع شيئًا من ماله يبيح له التصرف فيه، فإن نماه وحسن النظر فيه، فقد وقع الاختبار، ووجب على الوصي تسليم جميع ماله إليه، وإن أساء النظر فيه، وجب عليه إمساك ماله عنده، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾، فليس المعنى أن أكل مالهم من غير إسراف جائز، بل المراد:

١) انظر: «أسباب النزول» ـ الواحدي ـ (ص/ ١٤٧).

ولا تأكلوا أموالهم، فإنَّ أكله إسراف، وبذلك ينهى الله ﷻ الأوصياء عن أكل أموال اليتامى بغير المباح لهم إن كانوا فقراء محتاجين».[1]

ويقول الزمخشري: «معنى﴿إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾، لا تفرطوا ولا تسرفوا في إنفاق أموال اليتامى، وتقولوا ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا، ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيًا، وبين أن يكون فقيرًا، فالغني يستعف من أكلها، ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى؛ إشفاقًا على اليتيم وإبقاء ماله».[2]

ويقول سيد قطب: «ويبدو من خلال النص الدقة في الإجراءات التي يتسلم بها اليتامى أموالهم عند الرشد، كذلك يبدو التشديد في وجوب المسارعة بتسليم أموال اليتامى إليهم، بمجرد تبين الرشد بعد البلوغ وتسليمها لهم كاملة سالمة، والمحافظة عليها في أثناء القيام عليها، وعدم المبادرة إلى أكلها بالإسراف قبل أن يكبر أصحابها فيتسلموها مع الاستعفاف عن أكل شيء منها مقابل القيام عليها إذا كان الولي غنيًا، والأكل منها في أضيق الحدود إذا كان الولي محتاجًا».[3]

وبهذا يتبين لنا أن الإسراف في مال اليتيم صورة قبيحة من صور الإسراف؛ لأن فيه خيانة للأمانة واستضعافًا لليتيم، كما أنه تصرف يدل على جشع الوصي وضعف نزاهته وغياب استشعاره لرقابة ربه.[4]

---

١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٣٩، ٤٥).

٢) «الكشاف» (١/ ٤٦٤ ـ بتصرف ـ).

٣) «في ظلال القرآن» (١/ ٥٨٦).

٤) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم» ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٨٥: ٣٨٧)].

ثالثا : الإسراف في الجرائم

الإسراف في القتل:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ الإسراء: ٣٣.

إن قتل النفس البريئة كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه، وفي الحدود التي يرسمها، وكل نفس حرام أن تمس بقتل إلا بالحق، وهذا الحق ليس متروكًا للرأي، ولا متأثرًا بالهوى، وقد جاء في الصحيحين[1] أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

فهذه الأسباب الثلاثة المبيحة للقتل، فمن قتل مظلومًا بغير واحد من تلك الأسباب، فقد جعل الله لوليه سلطانًا على القاتل من غير إسراف في القتل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ الإسراء: ٣٣.

والمراد بالحق الذي استثناه، هو ما يباح به قتل الأنفس المعصومة في الأصل إلا بسبب ملتبس بالحق، كالقصاص من القاتل والزاني المحصن والمرتد عن دينه، والمراد بالسلطان الذي جعله الله لولي المقتول، هو التسلط على القاتل، إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية، ومعنى الإسراف في القتل المنهي عنه في الآية، عدم مجاوزة الحد بمجاوزة ما أباحه الله له، فيقتل بالواحد اثنين أو جماعة أو يمثل بالقاتل أو يعذبه أو يقتل القاتل بعد أخذ الدية والعفو، ثم علل النهي عن السرف، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾، أي مؤيدًا معانًا، أي الولي، فإن الله سبحانه

---

١) «صحيح البخاري» [كِتَابُ «الدِّيَاتِ»، بَابُ «قَوْلِ اللهَّ تَعَالَى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ...﴾ المائدة: ٤٥، (رقم/ ٦٨٧٨)]، و«صحيح مسلم» [كِتَابُ «الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ»، بَابُ «مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ»، (رقم/ ١٦٧٦)] من حديث عبد الله بن مسعود.

نصره بإثبات القصاص له، بما أبرزه من الحجج وأوضحه من الأدلة، وأمر أهل الولايات بمعونته والقيام بحقه حتى يستوفيه، ويجوز أن يكون الضمير راجعًا إلى المقتول والمعنى: إن الله نصره بوليه، وعلى كلا الوجهين فإن الإسراف في القتل بعد هذه النصرة تجاوز للحد يحرمه الله تعالى.[1]

ويقول الزمخشري في معنى «الإسراف في القتل»: «﴿فَلَا يُسۡرِف﴾ الضمير للولي، أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين، والقاتل واحد، كعادة الجاهلية كان إذا قتل منهم واحد، قتلوا به جماعة، وكانوا يقتلون غير القاتل، وقيل: معنى الإسراف، المثلة، والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾، إما للولي، يعني حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك، وبأن الله قد نصره، بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء القصاص بقتله، وينصره في الآخرة)١

وبهذا يتبين لنا أن الإسراف في القتل هي عادة جاهلية، نهى عنها الإسلام، وأن السلطان الذي جعله الله تعالى لولي المقتول، لابد أن يستغل استغلالًا حسنًا ويوظف توظيفًا سليمًا بعيدًا عن الإسراف في القتل الذي قد يتجاوز به الولي الحدود المتاحة له والمساحة التي تسمح له أن يتحرك عليها.[2]

١) انظر: «فتح القدير» ـ الشوكاني ـ (٣/ ٢٢٣)، و«الإسراف في ضوء القرآن الكريم« ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٨٤)].

٢) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم« ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٨٥)].

رابعا : الإسراف في السلوك

وصف اللهَّ تعالى قوم لوط بالإسراف فقال: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ الأعراف: ٨١؛ لأن اللواطة أعظم من الزنا؛ لأن الزنا وضع البذر في المحرث على غير الوجه المأمور به، فهو كمن يزرع في أرض غيره أو على غير الوجه الذي يجوز أن يزرع فيها، وفي اللواطة مع ذلك تضييع البذر فمتعاطيها ممن قال اللهَّ تعالى فيه: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ البقرة: ٢٠٥.[1]

وعرض القرآن لموضوع الأخلاقيات، فعني به عناية كبرى، وجعله من الثمرات الأولى للإيمان بالله ﷻ، وأوضح أن هناك تلازما شديدا بين عبودية الإنسان لله ﷻ والسلوك الأخلاقي الفاضل في المجتمع.

والطريقة القرآنية لعرض هذا الموضوع، أنه يربط بين مبادئ العقيدة والإيمان بالله ﷻ، والمبادئ السلوكية في الحياة، ويكشف عن التلازم الذي بينهما، وأن الثانية دائما نتيجة وثمرة للأولى.

فهو يوضح لك الرابطة المتينة بين اعتقادك بأنك عبد لله ﷻ، والتواضع ولين الجانب لإخوانك من الناس، ويأمرك بالثاني من حيث أمرك وألزمك بالأول فهو يقول مثلا: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان: ٦٣.

١) انظر: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ـ الراغب الأصبهاني ـ (ص/ ٢٢٢، ٢٢٣).

وهو يوضح لك التلازم بين اعتقادك بأن الرزق إنما يأتي من عند الله ﷻ وبتقديره، وبأن المال هو مال الله جعل الناس خلفاء فيه، وبين ما ينبغي أن تلتزمه بصدد الإنفاق، من القصد في ذلك وعدم الإقتار ولا الإسراف، ويوضح لك أن الثاني نتيجة للأول دائما. فهو يقول: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩، ثم يوضح أساس هذا الأمر قائلا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٣٠.

أي فالقرآن يقوّم المعايير الأخلاقية تقويما دينيا، ويجعل وجه ضرورة الالتزام بها الإيمان بالله ﷻ بكل ما يستلزمه من توابع ومتممات، بل إنه ليهدد أولئك الذين يفضلون العثوّ والفساد في الأرض بأخلاقهم السيئة، بأن أفئدتهم وعقولهم لن تتفتح لفهم الحقائق وأنها ستظل منصرفة عن أن تعي شيئا من دلائل الإيمان بالله، فهو يقول مثلا: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٤٦.[1]

فإذا ما قصد الجهد إلى المثل الأعلى الواجب في الأخلاق، فيجب أن يندفع في طريقه، بحيث يتجنب الإفراط في حال تألقه، ويتجنب التفريط في حال تقاصره. وإن ذلك ليذكرنا ـ على الفور ـ بنظرية «الوسط العادل» التي خصص لها أرسطو مجموعة من الفصول في كتابه: «الأخلاق». ولعل من المفيد أن نسجل تقاربًا بين النظريتين، ولكنا نرى على وجه التحديد أن مسألة معرفة ما إذا كان يوجد، أو لا يوجد بينهما بنوة تاريخية ـ غير مطروحة؛ فالدنيا كلها تعرف أن القرآن لاحق لنظرية أرسطو، ولكن الدنيا كلها تعرف من ناحية أخرى أن من الخطأ البين

١) انظر: «من روائع القرآن» ـ البوطي ـ (ص/ ١٦٦، ١٦٧).

تاريخيًّا القول بفرض حدوث استعارة، فإن الصلة بين الفكر الإسلامي، والفلسفة الهلينية لم تبدأ في الواقع إلا بعد قرنين من الإسلام.

وإنما الذي نقصده هو أن نحاول أن نرى فقط إلى أي حد بلغ تشابههما، وفيم يتمثل اختلافهما؟

إن فكرة «المقياس» فكرة قديمة، فالفيثاغوريون يرون أن العالم عدد وتناسق، ويعترف أفلاطون في المجال الأخلاقي بوجوب أن يكون تنفيذ كل الأشياء بمقياس، وطبقًا لمقتضيات العقل السليم.

وحين أراد أرسطو أن يقدم لنا هذه الفكرة في صورة أقل تجريدًا قال بوجوب التزام «الوسط العادل» أي: تجنب الإفراط والتفريط، أو الزيادة والنقص.

ثم نجد هذا المبدأ العملي نفسه في القرآن، لا بمناسبة جهد التقوى فحسب، بل كذلك بمناسبة «القناعة»: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ الأعراف: ٣١، و«العفة»: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ المؤمنون: ٥ - ٦، و«الكرم»: ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الفرقان: ٦٧، و«رقة الصوت، ولطف المسلك»: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ لقمان: ١٩.

وإلى هذا الحد فالتشابه واضح ولكن الاعتدال الذي يمدحه الإسلام، لا يتمثل في «الوسط الحسابي»، ولا في «نقطة الذروة»، وهما القولان اللذان يتردد بينهما الفكر الأرسطي، وإنما يتمثل الاعتدال في نبل يقترب بقدر الإمكان من الكمال، مقرونًا بالسرور، وبالأمل، وهو ما يعبر عنه رسول الله ﷺ في توجيهاته إلى الرفق،

ونحو ما هو عدل في ذاته: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا».[1]

ومن النصوص العامة في الاعتدال:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ١١٠.

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ الفرقان: ٦٣ –٦٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء: ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ الرحمن: ٧ - ٩.[2]

وبالجملة فإن صور ومجالات الإسراف والتبذير كثيرة ، نسأل الله أن يقينا والمسلمين شرها ، وأن يجنبنا جميعا كل مكروه وسوء.

(١انظر: «دستور الأخلاق في القرآن» ـ محمد دراز ـ (ص/ ٦٦٩: ٦٧٤ ـ بتصرف يسير ـ)، والحديث أخرجه البخاري [كِتَابُ «الإِيمَانِ»، بَابٌ «الدِّينُ يُسْرٌ»، (رقم/ ٣٩، وأطرافه فيه)] من حديث أبي هريرة.

٢) انظر: «دستور الأخلاق في القرآن» ـ محمد دراز ـ (ص/ ٦٩٨).

المبحث الثالث : الأساليب القرآنية في النهي عن الإسراف

المبحث الأول: أسلوب الطلب

الإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِالِاقْتِصَادِ وَمُرَاعَاةِ الِاعْتِدَالِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، حَتَّى فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُقَرِّبُ إِلَى اللهَّ تَعَالَى كَالصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ، قَال اللهُّ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥ .

فَالْعِبَادَاتُ إِنَّمَا أُمِرَ بِفِعْلِهَا مَشْرُوطَةً بِنَفْيِ الْعُسْرِ وَالْمَشَقَّةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمُعْتَادِ، وَمِنْ هُنَا أُبِيحَ الإِفْطَارُ فِي حَالَةِ السَّفَرِ وَالْحَامِلِ وَالْمَرِيضِ وَالْمُرْضِعِ وَكُلِّ مَنْ خَشِيَ ضَرَرَ الصَّوْمِ عَلَى نَفْسِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُفْطِرَ، لأَنَّ فِي تَرْكِ الإِفْطَارِ عُسْرًا، وَقَدْ نَفَى اللهُّ عَنْ نَفْسِهِ إِرَادَةَ الْعُسْرِ[1]. فَلاَ يَجُوزُ فِيهَا الإِسْرَافُ وَالْمُبَالَغَةُ. وَقَدْ صَحَّ عَنْهُﷺ أَنَّهُ قَال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[2]، أَيِ الْمُبَالِغُونَ فِي الأَمْرِ .[3]

وقد نهى ديننا عن الإسراف وأمر بالتوسط والاعتدال، فالإسراف مفسدة للمال مجلبة للفقر مسخطة للرب، وإذا أنفق الإنسان فعليه النظر إلي الضرورات والأولويات قبل الترف والكماليات، فعن ابن عمرو ﷺ أن النبيﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه» .[4]

---

١) انظر: «أحكام القرآن» ـ الجصاص ـ (١/ ١٦١).

٢) انظر: «الآداب الشرعية» ـ ابن مفلح ـ (٢/ ١٠٥)، والحديث أخرجه مسلم [كتاب «الْعِلْمِ»، بَابُ «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، (رقم/ ٢٦٧٠)] من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا، وزاد الراوي «قالها ثلاثا».

٣) انظر: «الموسوعة الفقهية الكويتية» ـ وزارة الأوقاف الكويتية ـ (٤/ ١٨١).

٤) أخرجه مسلم [كِتَاب «الزَّكَاةِ»، بَابٌ «فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ»، (رقم/ ١٠٥٤)].

وقال أبو بكر الصديق I: «إني لأكره أهل بيت ينفقون رزق أيام كثيرة في يوم واحد».[1]

فالإسراف من مساوئ الأخلاق التي تعود على صاحبها وعلى المجتمع والأمة بالكثير من الأضرار، وقد نهى الله ﷻ عباده عنه.

ومما جاء في النهي عن الإسراف في النفقة، قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ الفرقان: ٦٧ .

وفي سياق النهي عن السرف في الأموال وإنفاقها، يقول :ﷻ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾ الإسراء: ٢٦ –٢٧.

وقد ذكر جمهور المفسرين أن التبذير هنا إنفاق المال في غير حقه.[2]

ومما جاء في النهي عن الإسراف في الأكل والشرب، قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الأعراف: ٣١.

وهذه الآية الكريمةَ جاءت بنظام دقيق محكم بشأن الأكل والشرب، زاده إيضاحا الحديث الصحيح: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».[3]

قال أبو بكر الجصاص: «ظاهر الآية يوجب الأكل والشرب من غير إسراف، وقد أريد به الإباحة في بعض الأحوال، والإيجاب في بعضها، فالحال التي يجب فيها

---

١) انظر: «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» ـ الراغب الأصبهاني ـ (١/ ٥٧٩).

٢) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ـ الطبري ـ (١٥/ ٧٢: ٧٤).

٣) تقدم تخريجه.

الأكل والشرب هي الحال التي يخاف أن يلحقه ضرر كأن يكون ترك الأكل والشرب يتلف نفسه أو بعض أعضائه أو يضعفه عن أداء الواجبات، فواجب عليه في هذه الحال أن يأكل ما يزول معه خوف الضرر، والحال التي هما مباحان فيها هي الحال التي لا يخاف فيها ضررا بتركهما، وظاهره يقتضي جواز أكل سائر المأكولات وشرب سائر الأشربة مما لا يحظره دليل بعد أن لا يكون مسرفا فيما يأتيه من ذلك؛ لأنه أطلق الأكل والشرب على شريطة أن لا يكون مسرفا فيهما، والإسراف مجاوزة حد الاستواء، فتارة يكون بمجاوزة الحلال إلى الحرام، وتارة يكون بمجاوزة الحد في الإنفاق فيكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾الإسراء: ٢٧، والإسراف وضده من الإقتار مذمومان، والاستواء هو التوسط، ولذلك قيل: دين الله بين المقصر والغالي ... وقد يكون الإسراف في الأكل أن يأكل فوق الشبع حتى يؤديه إلى الضرر فذلك محرم أيضا» .[1]

ومما جاء في النهي عن إضاعة المال، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ النساء: ٥.

كل ذلك ونظائره يؤكد حقيقة وسطية الإسلام واعتداله وتوازنه في كل أحكامه وتشريعاته.

وبذلك تستقيم حياة الإنسان الطبيعية والتكليفية، فلا تضطرب ولا تصاب بالكلل والملل!!

١) «أحكام القرآن» (٣ / ٣٣ ـ بتصرف يسير ـ).

فالمقصود من الطاعات هو استقامة النفس ودفع اعوجاجها، لا الإحصاء فإنه متعذر ...!!

وذلك ما يتلاءم مع العقول المستقيمة.[1]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩ .

وقال: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٧.

وهذه الآية وسيلة لعلاج مشكلة الإسراف، وهي القناعة الذاتية في المعيشة والإنفاق، وهي وسيلة تَنبع من باطن المسلم وقوَّة إيمانه سلبًا وإيجابًا، دون إكراه أو ضغوطٍ، وهي دليل على حبِّ العبد ومراقبته لله تعالى، وابتغاء مَرضاته؛ يَجعله يَلتزم بالمنهج الشرعي الذي يأمره بالزُّهد والتقشُّف، ولا يُحَرِّم عليه التمتُّع بالطيِّبات من الرزق، ما دام لا يَخرج به عن حدِّ الاعتدال غير المرغوب فيه.

قال ابن كثير: «قَوْلُهُ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ القصص: ٧٧ أَيِ: اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ، فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثَّوَابُ فِي الدار الآخرة. وَيَوْمَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ القصص: ٧٧ أَيْ: مِمَّا أَبَاحَ اللهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ

---

١) انظر: «مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام» - عبد الله الطريقي - (ص/ ٨، ٩).

لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، وَلِزَوْرِكِ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾القصص: ٧٧ أَيْ: أَحْسِنْ إِلَى خَلْقِهِ كَمَا أَحْسَنَ هُوَ إِلَيْكَ ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾القصص: ٧٧ أَيْ: لَا تكنْ هِمَّتُكَ بِمَا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تُفْسِدَ بِهِ الْأَرْضَ، وَتُسِيءَ إِلَى خَلْقِ اللهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٧.[1]«

وقد سخر الله تعالى للإنسان عموم الكائنات، فقال :ﷻ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ الجاثية: ١٣.

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ لقمان: ٢٠.

والمطلوب من الإنسان أن يصرف هذه المسخرات في إطار وظيفته الرئيسة (عبادة الله وطاعته) ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦.

وذلك فيما يحقق المصلحة العامة والخاصة، العاجلة والآجلة، حاشا ما كان فيه مفسدة عامة أو خاصة، عاجلة أو آجلة، فإنه لا يجوز أن تصرف فيه تلك المسخرات.

ومن مظاهر هذه المسخرات وعناصرها: الهواء، والماء، والتربة، والنبات، والمحاصيل الزراعية، والحيوان.

---

١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٢٥٣، ٢٥٤).

وكلها من نعم الله الظاهرة التي يجب المحافظة عليها وتقييدها بالشكر ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ إبراهيم: ٧.

وقد حذر الشارع من إتلاف هذه النعم وإفسادها بأي لون من ألوان الإفساد، ما لم يكن في ذلك مصلحة راجحة، فقال :ﷻ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ الأعراف: ٥٦.

يقول ابن كثير: «ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح، فإذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان آخر ما يكون على العباد».[1]

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤ –٢٠٥.

وهذه الآية كما يقول القرطبي: «تعم كل فساد كان، في أرض أو مال أو دين، وهو الصحيح إن شاء الله».[2]

وقريب من هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ محمد: ٢٢ –٢٣.

---

١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٣١).

٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ١٨).

يقول الطاهر ابن عاشور: «وفي الآية إشعار بأن الفساد في الأرض وقطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر، فهما جرمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما».[1] وهكذا يظهر أن الفساد جريمة اجتماعية تجب محاربتها وذلك أن من أهم مقاصد التشريع ـ كما يقول ابن عاشور ـ: «حفظ نظام العالم، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه، قال الله حكاية عن بعض رسله وتنويها به ... ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ هود: ٨٨.

وقال حكاية: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٢.

فهذه أدلة صريحة كلية دلت على أن مقصد الشريعة إصلاح هذا العالم وإزالة الفساد منه، وذلك في تصاريف أعمال أهل العالم ... ولقد علمنا أن الشارع ما أراد الإصلاح المنوه به مجرد صلاح العقيدة وصلاح العمل بالعبادة كما قد يتوهم، بل أراد منه صلاح أحوال الناس وشئونهم في الحياة الاجتماعية، فإن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ البقرة: ٢٠٥، أنبأنا بأن الفساد المحذر منه هنالك هو إفساد موجودات هذا العالم.[2]

---

١) «التحرير والتنوير» (٢٦/ ١١٣ ـ بتصرف يسير ـ).

٢) «مقاصد الشريعة الإسلامية» (ص/ ٦٣: ٦٥).

وإذ عرفنا أن الفساد للبيئة وعناصرها مما حظره الشارع؛ فإن الإسراف في استعمالها والاستفادة منها يعد لونا من ألوان الإفساد.[1]

والإسراف من صور إضاعة المال، وكما أمر الله تعالى أن يكتسب العباد أموالهم من حلال طيب كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ البقرة: ١٦٨، فإنه نهاهم عن إضاعة المال وإعطائه السفهاء فتفوت بذلك مصالح كثيرة ويكون الفقر والحاجة: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ النساء: ٥، وقد ثبت في الصحيحين[2] عن النبيﷺ قوله: «إن الله كره لكم ثلاثا ...»، ذكر منها «إضاعة المال».

من أجل ذلك حرم الله الاعتداء على الأموال بأي صورة من الصور فقال :ﷻ ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة: ١٨٨.

كما حرم السرقة ووضع حدا للسارق يقام عليه بعد ثبوت ارتكابه السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ المائدة: ٣٨، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي تحرم الاعتداء على الأموال وإضاعتها.

---

١) «مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام» - عبد الله الطريقي - (ص/ ٥٣: ٥٦).

٢) «صحيح البخاري» [كِتَابُ «الزَّكَاةِ»، بَابُ «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾ البقرة: ٢٧٣ ...»، (رقم/ ١٤٧٧، وطرفه في ٨٤٤)]، و«صحيح مسلم» [كِتَابُ «الْأَقْضِيَةِ»، بَابُ «النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ»، (رقم/ ٥٩٣)].

أولا : أسلوب المدح والذم

إن الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب والملبس والمسكن ووسائل المواصلات والراحة مما يثقل كاهل رب الأسرة ويبقى طيلة حياته في حالة الفقر والإعواز.

لذلك قَال اللهُ تَعَالَى فِي صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، ممتدحا أهل الوسطية في النفقة الذين لا يبخلون ولا يسرفون: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ الفرقان: ٦٧.

فيجب أن يكون الإنسان واعيا في حياته كلها ومنها الوضع الاقتصادي فيجب أن يتنبه ويسلك جانب الاقتصاد في حياته ويجانب الإسراف والتبذير اللذينِ يوديان بحياته وبعد ذلك يصبح فقيراً.

وكذلك حرص القرآن الكريم في أكثر من موطن على أن يصف المسرف بقربه من الكفر حيث ابتعد عن الآخرة وانغمس في الدنيا، وأن المبذرين كانوا إخوان الشياطين فلا فرق بينهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾الإسراء: ٢٦ –٢٧.

ومن يتأمل في واقع الإسرف والتبذير، وأهلهما يلحظ أن الترف يجيء تالياً ونتيجة لهما؛ فكفى بهما ضرراً وشراً.

وقد وردت مادة «ترف» في القرآن الكريم ثماني مرات، وكلها جاءت في سياق الذم للترف والمترفين، كقوله ﷻ معللا تعذيب أصحاب الشمال: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴾ الواقعة: ٤٥.

قال السعدي: «أي قد ألهتهم دنياهم وعملوا لها وتنعموا، وتمتعوا بها، فألهاهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه».[1]

وفي سياق الذم لأصحاب المال والجاه الذين سخروهما لشهواتهم يقول :ﷻ

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ الإسراء: ١٦.

وفي قوله: ﴿أَمَرْنَا ﴾ قراءات:

فقد قرئ «أَمَرْنَا» بفتح الهمزة بدون مد وفتح الميم مع التخفيف، من الأمر.

وقرئ «أَمَّرْنَا» بفتح الهمزة بدون مد وتشديد الميم، من الإمارة.

وقرئ «آمَرْنَا» بمد ثم فتح للميم مع التخفيف أي أكثرناهم.

قال الطبري بعد أن ساق القراءات وتفسيراتها: «وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ بقصر الألف من «أَمَرْنَا» وتخفيف الميم منها لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها، وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول؛ لأن الأغلب من معنى «أَمَرْنَا»: الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره».[2]

وأيا كان تفسير الآية، فإنها تشير إلى أن أكثر أهل المال والجاه والسلطة يغترون بما عندهم فيسخرونه في غير طاعة الله ويصدون عن الخير.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٨٣٤).

٢) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٤/ ٥٢٧: ٥٣٢).

يقول الشوكاني: «ومعنى مترفيها المنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش، والمفسرون يقولون في تفسير المترفين: إنهم الجبارون المتسلطون والملوك الجائرون، قالوا: وإنما خصوا بالذكر لأن من عداهم أتباع لهم».[1]

وفي السياق نفسه يقول الحق :﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ العلق: ٦ –٨.

و«الطغيان»: هو مجاوزة الحد، وكل شيء جاوز المقدار والحد في العصيان فهو طاغ.[2]

ولكثرة مذام الإسراف ذم اللهَّ تعالى أعظم مما ذم به البخل فقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩.

ملومًا من جهة من سألك فلم تجد ما تعطيه، وحسيرًا عن بلوغ مرادك وبهذا ألم المتنبي فقال:[3]

فلا ينحلل في المجد مالك كله * * * فينحل مجد كان بالمال عقده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * * * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وليس الإسراف متعلقًا بالمال فقط، بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث، فقال: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ الأعراف: ٨١.

---

١) «فتح القدير» (٣/ ٢١٤).

٢) انظر: «المصباح المنير» (ص/ ٣٧٤).

٣) انظر: «دواوين الشعر العربي على مر العصور» (٤٧/ ٢٤٥).

ووصف فرعون بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الدخان: ٣١.

وقوله: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يونس: ٨٣.

وذم من يأكل مال نفسه إسرافًا وبدارًا، فقال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ النساء: ٦.(١)

ثانيا : أسلوب الثواب والعقاب

القرآن ذو صبغة ترغيبية وترهيبية واضحة.

فخذ في جانب الترغيب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الزمر: ٥٣.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧.

وقد جاء ذلك في سياق صفات عباد الرحمن وسماتهم المتميزة وما أعد الله لهم من نعيم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ الفرقان: ٧٥ –٧٦.

وخذ في مقام الترهيب قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَنتَكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٣٧﴾﴾ طه: ١٢٤ – ١٢٧ .

١) انظر: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ـ الراغب الأصبهاني ـ (ص/ ٢٦٩، ٢٨٦).

قال الشعراوي: «قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي تُنسَى في النعيم وفي الجنة، لكنك لا تُنسى في العقاب والجزاء.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾، قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الجزاء ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾، والإسراف: تجاوز الحدِّ في الأمر الذي له حَدٌّ معقول، فالأكْل مثلاً جعله الله لاستبقاء الحياة، فإنْ زاد عن هذا الحدِّ فهو إسراف.

دَخْلك الذي يسَّره الله لك يجب أن تنفق منه في حدود، ثم تدَّخر الباقي لترقى به في الحياة، فإنْ أنفقتَه كله فقد أسرفْتَ، ولن تتمكن من أن تُرقِّى نفسك في ترف الحياة ... وللإسلام نظرته الواعية في الاقتصاديات، فالحق يريد منك أنْ تنفق، ويريد منك ألاَّ تُسرِف وبين هذين الحدَّيْن تسير دَفّة المجتمع، ويدور دولاب الحياة، فإنْ بالغتَ في حَدٍّ منهما تعطلتْ حركة الحياة، وارتبك المجتمع وبارت السلع.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾، فأنزل الإسراف منزلةَ تالية لعدم الإيمان؛ لذلك قال بعدها: ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ لأنه حين ينقل الحلال إلى الحرام، أو الحرام إلى الحلال، فكأنه عطّل آيات الله». [1]

وقوله سبحانه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١.

وإذا كان الله تعالى لا يحب المسرفين، ففي ذلك نذارة لهم وتخويف، وتحذير.

---

١) «التفسير» (١٥/ ٩٤٣٩: ٩٤٤٢ - بتصرف يسير -).

وأبلغ ترهيبا من ذلك قوله تعالى في حق المبذرين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ الإسراء: ٢٧ ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر: ٢٨. وسياق الترهيب واضح في ذلك.

وأشهر قصة للإسراف والترف والبذخ والأشر والبطر في القرآن العظيم هي قصة قارون، وقد جاءت مفصلة وبأسلوب قرآني بليغ، تصور تلك الشخصية الشاذة، وعلوها في الأرض وموقف الناس المعاصرين لها منها.

فقد كان من قوم موسى Ş فبغى وتجبر، بسبب ماله الوفير، وظن أنه أفضل الناس وأكرمهم وأعلمهم وأنه جدير بالمال دون غيره، فمنع حق الله في المال، وأسرف في التزيي بالزينة، فجمع بين الشح والسرف، فاستحق العذاب الشديد ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ القصص: ٨١.

وقد جاءت قصته في سورة القصص من الآية (٧٦) حتى الآية (٨٣).

المبحث الرابع : آثار وثمرات الإسراف وعواقبه

أولا: الآثار الدنيوية على الفرد والمجتمع

ما أمر الله تعالى بشيء إلا كان للعباد فيه مصلحة عاجلة أو آجلة، وما نهى عن شيء إلا كان فيه مفسدة عاجلة أو آجلة، والمصالح كلها خيور نافعات حسنات، والمفاسد بأسرها شرور مضرات سيئات، وقد غلب في القرآن استعمال الحسنات في المصالح، والسيئات في المفاسد.(١)

وقد ثبت بالأدلة القطعية المتضافرة ـ كما مر معنا ـ أن السرف مما نهى الله عنه ورسوله، ومما تأنف منه نفوس العقلاء.

ولذا لا بد أن تكون له سلبيات وأضرار ومفاسد تعود على الفرد والجماعة، وعلى الدين والدنيا، ويمكن تصنيف هذه الآثار كالآتي:

١ـ عدم هدايتهم وإضلالهم:

فمن عقوبات المسرفين في الحياة الدنيا أن الله ﷻ لا يهديهم إلى الحق، ولا يرشدهم إلى الهدى، ولا يشرح صدورهم إلى الإيمان، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ غافر: ٢٨، وقد جاءت هذه الفاصلة القرآنية في ختام آية تحدثت عن مؤمن آل فرعون، وسأذكر الآية كاملة بسبب اختلاف العلماء في خاتمة الآية وفاصلتها حيث سأتناول تفسيرها بشيء من الإسهاب، يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن

١) انظر: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» ـ ابن عبد السلام ـ (ص/ ٤).

يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ غافر: ٢٨.

فجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾، يجوز أنها من قول مؤمن آل فرعون، فالمقصود منها تعليل قوله: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾، أي لأن الله لا يقره على كذبه، فإن كان كاذبًا على الله فلا يلبث أن يفتضح أمره أو يهلكه؛ لأن الله لا يمهل الكاذب عليه، والمسرف هنا هو المسرف في الكذب؛ لأن أعظم الكذب أن يكون على الله، وإذا كان المراد الإسراف في الكذب، تعين أن قوله ﴿كَذَّابٞ ﴾ عطف بيان؛ إذ ليس ثمة إسراف هنا غير إسراف الكذب، ويجوز أن تكون جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ﴾ جملة معترضة بين كلامي مؤمن آل فرعون، ليست من حكاية كلامه، وإنما هي قول من جانب الله في قرآنه، يقصد منها تزكية هذا الرجل المؤمن الذي هداه الله للحق وأنه تقي صادق، فيكون نفى الهداية عن المسرف الكذاب، كناية عن تقوى هذا الرجل وصدقه؛ لأنه نطق عن هدى، والله لا يعطي الهدى من هو مسرف كذاب.[1]

ويقول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾: «ويحتمل أيضًا أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في إقدامه على ادعاء الإلهية، والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره».[2]

١) انظر: «التحرير والتنوير» ـ الطاهر ابن عاشور ـ (٢٤/ ١٣٠، ١٣١).

٢) «مفاتيح الغيب» = «التفسير الكبير» (٢٧/ ٦٠).

كما بين الله ﷻ أنه يعاقب المسرفين في الدنيا بإضلالهم وغوايتهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ غافر: ٣٤.

والمعنى: «فينذرهم بإضلالهم الله الذي ينتظر كل مسرف مرتاب في عقيدته وقد جاءته معها البينات».[1]

ويقول البيضاوي:» ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الضلال ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ في العصيان ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ شاك فيما تشهد به البينات؛ لغلبة الوهم والانهماك في التقليد».[2]

وبهذا يتبين لنا أن إضلال المسرفين وعدم هدايتهم من العقوبات التي يعاقبهم الله بها في الدنيا.[3]

٢ـ ضنك عيشهم:

فمن العقوبات الدنيوية التي يعاقب الله بها المسرفين أنهم يعيشون في الدنيا في ضيق من العيش، يعانون الفقر ويكابدون من القلة والعوز؛ لقاء تقصيرهم في جنب الله، وإسرافهم في معصية الله، وفي ذلك يقول :ﷻ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا

---

١) انظر: «في ظلال القرآن» ـ سيد قطب ـ (٥/ ٣٠٨١).

٢) «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٢/ ٣٤٠).

٣) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم« ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٩٢، ٣٩٣)].

وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ طه: ١٢٤ .١٢٧ –

ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله، فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة، فيعيش عيشًا رافعًا، والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض العلماء: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، وقد توعد الله المسرفين في المعاصي المعرضين عن ذكر ربهم بعقوبة دنيوية، وهي المعيشة الضنك في الدنيا، بالإضافة إلى العقوبة الأخروية.[1]

فالحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ضنك مهما يكن فيها سعة ومتاع، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص والحذر، الحرص على ما في اليد، والحذر من الفوت، ضنك الجري وراء بارق المطامع، والحسرة على كل ما يفوت، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، وما يحس راحة الثقة إلا وهو متمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولًا وعرضًا وعمقًا وسعة، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان، ولقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه، أسرف فألقى بالهدى من بين يديه، وهو أنفس

١) انظر: «الكشاف» ـ الزمخشري ـ (٣/ ٩٢، ٩٣).

ثراء وذخر، وأسرف في إنفاق بصره في غير ما خلق له، فلم يبصر من آيات الله شيئًا، فلا جرم يعيش معيشة ضنكًا.[1]

٣ـ تزيين أعمالهم لهم:

من العقوبات الدنيوية التي يعاقب الله بها المسرفين، تزيين أعمالهم لهم وتحسينها في نظرهم وتحبيبها إلى قلوبهم، وفي ذلك يقول الله :﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ١٢.

يقول البيضاوي في معنى قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ١٢: «من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات».[2]

ويقول النسفي: «﴿كَذَٰلِكَ﴾، أي مثل ذلك التزيين ﴿ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ للمجاوزين الحد في الكفر، زين الشيطان بوسوسته ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الإعراض عن الذكر واتباع الكفر».[3]

ويقول الرازي: «الكاف في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ للتشبيه، والمعني كما زين لهذا الكافر العمل القبيح المنكر، ﴿ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الإعراض عن الذكر ومتابعة الشهوات».[4]

---

١) انظر: «في ظلال القرآن» ـ سيد قطب ـ (٤/ ٢٣٥٥، ٢٣٥٦).

٢) «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (١/ ٤٣٠).

٣) «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (١/ ٥٣١).

٤) «مفاتيح الغيب» = «التفسير الكبير» (١٧/ ٥٦).

ويقول ابن عاشور: «المراد بالمسرفين هنا الكافرين، واختير لفظ (المسرفين)؛ لدلالته على مبالغتهم في كفرهم، وقد أسند فعل التزيين إلى الشيطان غير مرة، أو لأن معرفة المزين لهم غير مهمة ههنا، وإنما المهم الاعتبار والاتعاظ باستحسانهم أعمالهم الذميمة، والمعنى أن شأن الأعمال الذميمة القبيحة إذا تكررت من أصحابها أن قصر لهم دربه، تحسن عندهم قبائحها فلا يكادون يشعرون بقبحها فكيف يقلعون عنها».[1]

فمن خلال أقوال المفسرين نلاحظ أن المسرفين يتمادون في إسرافهم من غير الشعور بأن هناك حسيبًا ولا رقيبًا، يستحسنون أعمالهم وتزين لهم أفعالهم دون شعور بذنب أو الإحساس بخطيئة، وهم لا يدرون أن ما يقعون فيه من شر أفعالهم وأقوالهم هي عقوبة دنيوية لهم على سوء إسرافهم وقبح تصرفاتهم.[2]

٤- إهلاكهم واستئصالهم:

الهلاك والاستئصال أقسى عقوبة دنيوية، يعاقب الله ﷻ بها المسرفين، بل ينهي بها وجودهم، ويضع بها حدًا لإسرافهم بعد كل العقوبات السابقة التي لم يستفيدوا منها، ولم يتعظوا أو يعتبروا من إشاراتها وأماراتها، وفي ذلك يقول الحق :ﷻ

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ ﴾ الأنبياء: ٧ - ٩

---

١) انظر: «التحرير والتنوير» (١١/ ١١٢).

٢) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم» ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٩٤، ٣٩٥)].

فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ أي الذي وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين، صدقهم الله وعده، وفعل ذلك، ولهذا قال: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ أي أتباعهم من المؤمنين ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي المكذبين بما جاءت به الرسل.[1]

فتلك سنة الله في اختيار الرسل، ومثلها سنته في إنجائهم ومن معهم وإهلاك المسرفين الظالمين المكذبين، فهي سنة جارية كسنة اختيارهم، وقد وعدهم الله النجاة هم والمؤمنين معهم إيمانا حقيقيا يصدقه العمل فصدقهم وعده، وأهلك الذين كانوا يسرفون عليهم ويتجاوزون الحد معهم .[2]

وقد بين الله ﷻ في موضع آخر طريقة إهلاك المسرفين من قوم لوط ؏، فقال سبحانه: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الذاريات: ٣٣ -٣٤، أي لنرجمهم بحجارة من طين متحجرة، ومعنى ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ معلمة بعلامات تعرف بها، وقيل كانت مخططة بسواد وبياض، وقيل بسواد وحمرة، وقيل معروفة بأنها حجارة العذاب، وقيل مكتوب على كل حجر من يهلك بها، وقوله: ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي معلمة عنده ﴿لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ المتمادين في الضلالة المتجاوزين الحد في الفجور والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.[3]

ويقول الزمخشري: «﴿ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ يريد: السجيل، وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر، حتى صار في صلابة الحجارة، ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ معلمة، من السومة وهي

---

١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ـ ابن كثير ـ (٣/ ١٧٤).

٢

٣) انظر: «فتح القدير» ـ الشوكاني ـ (٥/ ٨٨، ٨٩).

العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب.

وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا. سماهم مسرفين، كما سماهم عادين، لإسرافهم وعدوانهم في عملهم: حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم».[1]

وبهذا يتبين لنا أن الله قد عاقب المسرفين من قوم لوط في الدنيا بالهلاك والاستئصال، حيث أرسل عليهم حجارة من طين معلمة بعلامات تبين وتدلل أنها عقوبة لهم على ما اقترفت أيديهم وما اجترأت عليه نفوسهم من الإسراف في الباطل والفساد.[2]

٥- مجاوزة حدود الله:

إن في السرف مجاوزة لحدود الله التي حدها وفرضها، وقد قال الحق: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ البقرة: ٢٢٩.

ووجه كون السرف تجاوزا لحدود الله، أن الله تعالى نهى عنه في آيات كثيرة، وعلى لسان رسوله ﷺ، وحسبنا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الأنعام: ١٤١.

والمسرف مرتكب للنهي، فيكون قد تجاوز حدود الله التي حدها وهي الاعتدال والتوسط.

٦- كفر بنعمة الله:

---

١) «الكشاف» (٤/ ٤٠٢).

٢) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم» - د/ محمود عنبر - [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٩٥، ٣٩٦)].

إن الإسراف والتبذير كفر بنعمة الله، وطغيان في الأرض، قال :﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ الإسراء: ٢٧.

يقول الألوسي: «وفي تخصيص هذا الوصف بالذكر[1] من بين صفاته القبيحة إيذان بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر».[2]

٧ـ متابعة الشيطان ومؤاخاته:

قال :﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ الإسراء: ٢٦ –٢٧.

ومعنى ذلك أن التبذير يدعو إليه الشيطان؛ لأنه إما إنفاق في الفساد، وإما إسراف يستنزف المال في السفاسف واللذات فيعطل الإنفاق في الخير، وكل ذلك يرضي الشيطان، فلا جرم أن كان المتصفون بالتبذير من جند الشيطان وأعوانه، وهذا تحذير من التبذير، فإن التبذير إذا فعله المرء اعتاده فأدمن عليه فصار له خلقا لا يفارقه فشأن الأخلاق الذميمة أن يسهل تعلقها بالنفوس ... فإذا بذر المرء لم يلبث أن يصير من المبذرين أي المعروفين بهذا الوصف، والمبذرون إخوان الشياطين، فليحذر المرء من عمل هو من شأن إخوان الشياطين، وليحذر أن ينقلب من إخوان الشياطين.[3]

٨ـ الحرمان من التوفيق والهداية الإلهية:

---

١) أي في وصف الشيطان بأنه كفور.

٢) «روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني» (١٥/ ٦٣).

٣) انظر: «التحرير والتنوير» ـ ابن عاشور ـ (١٥/ ٨١).

يقول ﷻ على لسان مؤمن آل فرعون في سياق دفاعه عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ غافر: ٢٨.

٩- إهدار المال:

إهدار الأموال وإضاعتها فيما لا يحقق مصلحة للفرد أو الجماعة، بل ربما ترتب عليه مفاسد.

ومعروف أن المال قوام الحياة، قال :ﷻ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ النساء: ٥.

وهو أمانة بيد الإنسان ومستخلف فيه يجب عليه أن يقوم بها على الوجه الصحيح، وإلا كان أحد الخائنين. قال :ﷻ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ الحديد: ٧.

قال أبو السعود: «أي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة، عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الإنفاق، فإن من علم أنها لله ﷻ، وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق».[1]

١٠- الحسرة والندامة:

كما أن عاقبة المسرف في الآخرة العقاب الأليم، فعاقبته في الدنيا الحسرة والندامة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ الإسراء: ٢٩.

---

١) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (٨/ ٢٠٤).

ثانيا : الآثار الأخروية

يعرض المسرف نفسه للعقوبة الدنيوية أو الأخروية، أو كليهما، قال :ﷻ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا ﴾ القصص: ٥٨.

وقد قص الله سبحانه في كتابه ما فعله قارون من جمع للمال، وكنز له، ومنعه حقه وزهوه به، ثم نتيجة ذلك ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ القصص: ٨١.

فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين هو وما اغتر به من داره وأثاثه ومتاعه.[1]

١ـ حشرهم يوم القيامة عميانًا:

حيث ينتظر المسرفين يوم القيامة عقوبةٌ أخروية قاسية لم يكونوا يتوقعوها، وهي أنهم سيحشرون عميانًا، وقد كانوا مبصرين في الدنيا، والذي يدلل على مفاجأتهم وذهولهم من هذه العقوبة سؤالهم عن هذا التحول والتغير الذي لم يعهدوه في الدنيا، ولم يكونوا قد ابتلوا به، حيث يقول ﷻ وهو يصف أحوالهم: ﴿ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن ﴿١٣٤﴾ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَنتَكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٣٧﴾ ﴾ طه: ١٢٤ .١٢٧ –

١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» ـ السعدي ـ (ص/ ٥٧٤).

فقوله: ﴿ ئدِيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ يحشرون على الصفة التي وصفهم الله بها، وهي العمى؛ ليكون ذلك زيادة في عذابهم، ثم يعيد إليهم أبصارهم في النار ليروا العذاب بأعينهم.[1]

وقال مجاهد: «أعمى عن الحجة»، وقيل: أعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها، وقيل: من الحيلة في دفع العذاب عن نفسه، كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه، وقوله: ﴿أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ أي في الدنيا ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي قال الله تعالى له: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي دلالاتنا على وحدانيتنا ﴿فَنَسِيتَهَاۖ ﴾ أي تركتها، ولم تنظر فيها وأعرضت عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ أي تترك في العذاب ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ ﴾ أي كما جزينا من أعرض عن القرآن وعن النظر في المصنوعات والتفكر فيها، وجاوز الحد في المعصية.[2]

ويقول الرازي: «إنه يحشر بصيرًا، فإذا سيق إلى المحشر عمى».[3]

ويقول سيد قطب: «ولقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه، أسرف فألقى بالهدى من بين يديه، وهو أنفس ثراء وذخر، وأسرف في إنفاق بصره في غير ما خلق الله له، فلم يبصر من آيات الله شيئًا، فلا جرم يعيش معيشة ضنكا ويحشر يوم القيامة أعمى».[4]

---

١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ـ القرطبي ـ (١٠/ ٣٣٩).

٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ـ القرطبي (١١/ ٢٧٦).

٣) «مفاتيح الغيب» = «التفسير الكبير» (٢٢/ ١٣٢).

٤) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٣٥٦).

ونلاحظ من خلال هذه العقوبة الأخروية أن الجزاء من جنس العمل، فكما أن من أعرض عن ذكر الله في الدنيا وأعمى بصره عن تكاليف الله وأحكام كتابه، عاقبه الله بعقوبة من جنس ذنبه، وهي العمى يوم القيامة وذلك على سبيل المشاكلة.[1]

٢ـ المسرفون هم أصحاب النار:

قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ غافر: ٤٣

وهي عقوبة لمن أسرف في الحياة الدنيا، فالذي قضى دنياه مسرفًا معرضًا عن آيات الله وعن ذكره، يعاقب في الآخرة بأنه من أصحاب النار والعياذ بالله، كما قال :ﷻ ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾.

قال قتادة: «يعني المشركين»، وقال مجاهد: «السفاكين للدماء».

قال الرازي: «والصحيح أنهم الذين أسرفوا في معصية الله بالكمية والكيفية، أما الكمية فالدوام، وأما الكيفية فبالعود والإصرار ».[2]

ويقول البيضاوي:» ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ في الضلالة والطغيان كالإشراك وسفك الدماء ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ ملازموها».[3]

---

١) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم« ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٩٦، ٣٩٧)].

٢) انظر: «مفاتيح الغيب» = «التفسير الكبير» ـ الرازي ـ (٢٧/ ٧٢).

٣) «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٢/ ٣٠٤).

ويقول القرطبي في معنى المسرفين في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: «هم الذين تعدوا حدود الله كالسفهاء وسفاكي الدماء والجبارين والمتكبرين الذين هم أصحاب النار والخالدون فيها».[1]

وبهذا يتبين لنا العقوبة الأخروية للإسراف، وكيف أن هذه العقوبة من جنس عمل المسرفين والمفرطين، فالذي يعرض عن ذكر الله سبحانه، ويسرف في المعاصي والآثام في الدنيا، ويعطل نعمة البصر عن التبحر في آيات الكون لخالقه، وليذل لصانعه يعاقب في الآخرة بالعمى بالإضافة إلى أنه في الآخرة من أصحاب النار.[2]

٣ـ سوء الحساب يوم الدين (المساءلة بين يدي الله تعالى):

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ التكاثر: ٨.

وقد اختلف من المسؤول هنا أهو المؤمن أم الكافر؟ وأي شيء هو النعيم؟

قال الرازي: «والحق أن السؤال يعم المؤمن والكافر عن جميع النعيم، سواء كان مما لا بد منه أو لا، لأن كل ذلك يجب أن يكون مصروفا إلى طاعة الله لا إلى معصيته، فيكون السؤال واقعا عن الكل».[3]

---

١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٠٤).

٢) انظر: «الإسراف في ضوء القرآن الكريم» ـ د/ محمود عنبر ـ [«مجلة الجامعة الإسلامية»، (١٩/ ٣٩٧، ٣٩٨)].

٣) «مفاتيح الغيب» = «التفسير الكبير» (٣٢/ ٨٢).

ومجرد الوقوف بين يدي الله للمساءلة والمناقشة عذاب كما قالﷺ: «من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب»[1]، فالسؤال عن المال من طرفين:

أ ـ مصدر كسبه.

ب ـ جهة إنفاقه. فالمسلم ليس حرا لينفق نعمة المال في الحرام أو العبث أو ما لا يعود عليه بنفع وفائدة، والحدود الشرعية للنفقة هي في حدود الضرورة والحاجة بلا سرف ولا رياء ولا خيلاء، ومن عبث بالمال طال وقوفه للحساب يوم القيامة حيث يسأل عن كل درهم من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

عن أبي برزة الأسلمي قال: قالﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».[2]

ومن نوقش الحساب هلك، ويؤكد ذلك قوله :ﷻ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ التكاثر: ٨.

٤ـ التعرض لغضب الله والحرمان من محبته:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ الإسراء: ٢٧، وأخوة الشياطين تعنى الصيرورة والانضمام إلى حزبهم.

---

١) أخرجه البخاري [كِتَابُ «العِلْمِ»، بَابُ «مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ»، (رقم/ ١٠٣، وأطرافه فيه)]، ومسلم [كتاب «الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا»، بَابُ «إِثْبَاتِ الْحِسَابِ»، (رقم/ ٢٨٧٦)] ـ واللفظ له ـ من حديث عائشة.

٢) أخرجه الترمذي [أَبْوَابُ «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهﷺ»، بَابٌ «فِي الْقِيَامَةِ»، (رقم/ ٢٤١٧)]، وقال: «حسن صحيح»، صححه الألباني.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١، فالشيطان متكبر عنيد وعاص لله كافر بنعمه، ومن كان في حزب الشيطان وصحبته فهو هالك لأنه تشبه بالهالكين فصار منهم. والصفة الجامعة بين الشياطين والمسرفين هي صفة الإسراف، فالشيطان أسرف على نفسه بالكفر جاحدا نعمة الله عليه، والمسرف أهدر نعمة الله عليه ولم يشكرها ويستعملها فيما يرضيه.

والكفر نوعان:

أ ـ كفر بالمنعم: وهو الكفر الأكبر، مثل كفر الشيطان وسائر الكفار والملاحدة.

ب ـ كفر بالنعمة: وهو مصداق قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ إبراهيم: ٢٨.

٥ـ العقاب الأليم:

كما أن عاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة، فعاقبته في الآخرة العقاب الأليم والعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الواقعة: ٤١ –٤٥.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته وبفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله خاتم النبوات والرسالات، وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واهتدى بهديه ما بقيت الأرض والسموات ... أما بعد:

فإني أحمد الله تعالى أن هداني إلى الكتابة في موضوع من موضوعات كتابه، ويسر لي السبل للصول إلى خاتمته، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الشكر من قبل ومن بعد.

وقد حاولت من خلال هذا الجهد المتواضع الحديث عن «الإسراف في ضوء القرآن الكريم»، فكانت الدراسة قائمة على منهج التفسير الموضوعي، وتعرفنا من خلالها على معنى «الإسراف» لغة واصطلاحا، والعلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية، وورود «أسرف» ومشتقاتها في السياق القرآني من خلال الآيات المكية والمدنية، والموضوعات التي ناسبت كل مرحلة من هاتين المرحلتين، كما تعرفنا من خلالها على صور الإسراف وميادينه التي ذكرها القرآن الكريم، وكذلك تعرفنا على عقوبات المسرفين الدنيوية والأخروية، وكل ذلك في إطار دراسة قرآنية موضوعية، وها نحن نختم الدراسة بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث، وهي:

١ـ المعاني اللغوية للإسراف معاني شاملة عديدة، حيث ورد الإسراف في اللغة بمعنى مجاوزة الحد والقصد، والخطأ ووضع الشيء في غير موضعه وحقه، وبمعنى الجهل والغفلة والقلة والإفساد والولوع بالشيء، بينما مثَّل المعنى الاصطلاحي واحدا من هذه المعاني، وهو مجاوزة الحد، وبهذا يظهر للباحث أن المعاني اللغوية أعم وأشمل من المعنى الاصطلاحي.

٢ـ وردت لفظة «أسرف» ومشتقاتها في السياق القرآني في ثلاثة وعشرين موضعًا، موزعة على إحدى وعشرين آية وسبع عشرة سورة، وذلك على النحو التالي:

أ ـ وردت لفظة «أسرف» ومشتقاتها في ست عشرة آية مكية، موزعة على اثنتي عشرة سورة.

ب ـ وردت لفظة «أسرف» ومشتقاتها في ستة مواضع من كتاب الله، وخمس آيات موزعة على خمس سور.

٣ـ يتبين للباحث أن «أسرف» ومشتقاتها وردت في السياق المكي أكثر من ورودها في السياق المدني؛ لأن حاجة المجتمع المكي كانت تقتضي النهي عن صور الإسراف التي استفحلت في الحياة الجاهلية، فقد أكدت على النهي عن الإسراف في أموال اليتامى خاصة، والإسراف في المعاصي بصفة عامة.

وأما الآيات المدنية فقد أكدت على النهي عن الإسراف في أموال اليتامى، وكذلك نهت عن الإسراف في أموال الزكاة، وتحدثت عن إسراف بني إسرائيل في المعاصي للكشف عن وجوه وأخلاق اليهود الذين كانوا يمثلون شريحة سكانية كبيرة على أرض المدينة المنورة.

٤ـ من صور الإسراف وميادينه في القرآن الكريم الإسراف في النفقة، والإسراف في الزكاة والصدقات، والإسراف في القتل، والإسراف في مال اليتامى.

٥ـ تبين للباحث أن المسرفين الذين ذمهم القرآن على إسرافهم وخصص الحديث عنهم، هم قوم نبي الله لوط ؏ الذين أسرفوا في اللواط، وفرعون وملؤه الذين أسرفوا في القتل خاصة، والتكبر والاستعلاء والإفساد في الأرض بصفة عامة، وكذلك بنو إسرائيل الذين استشرى بينهم القتل حتى طالت أياديهم الآثمة أنبياءهم ورسلهم.

٦ـ ظهر للباحث أيضا أن الله ﷻ قد عاقب المسرفين بعقوبات دنيوية وأخروية، أما العقوبات الدنيوية فهي إضلالهم وعدم هدايتهم، وعيشهم في ضنك، وتزيين أعمالهم السيئة لهم، وإهلاكهم واستئصالهم، وأما عقوباتهم الأخروية فهي حشرهم عميانا بعد أن كانوا مبصرين في الدنيا والخلود في نار جهنم، والعياذ بالله.

وأخيرا قبل إنهاء الخاتمة، نذكر بعض التوصيات:

١ـ معرفة أسباب الإسراف؛ للابتعاد عنه قدر الاستطاعة قبل الوقوع فيه.

٢ـ وَضْع الحلول الشرعيَّة لعلاج ما أفسَده الإسراف في الدين والدنيا.

٣ـ معرفة وسائل علاج الإسراف؛ لإنقاذ من وقع فيه.

٤ـ يجب علينا أن نعلم أن ديننا لا يمنعنا أن يكون لنا ألوف وملايين، ولكن تكون في اليد لا في القلب.

٥ـ أن نحسن استعمال النعمة بشكرها حتى لا نعرضها للزوال، فشكر النعمة يحفظها من الزوال ويفتح باب المزيد، فشكر المنعم يحفظ النعمة من الزوال ويفتح باب المزيد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ إبراهيم: ٧.

٦ـ أن نعلم أبناءنا شكر الرزاق الوهاب، ودائما نذكرهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣ .

وفي الختام أسال الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله ذخرا لي في حياتي، وثوابا لي بعد مماتي، وأن ينفع به طلاب العلم خاصة، والمسلمين عامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ولا يكون للشيطان فيه حظٌّ ولا نصيبٌ، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

١. أحكام القرآن ـ الجصاص ـ (دار إحياء التراث العربي).
٢. الإسراف في ضوء القرآن الكريم ـ د/ محمود عنبر ـ (مجلة الجامعة الإسلامية).
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ الشنقيطي ـ (دار الفكر).
٤. الإكليل في استنباط التنزيل ـ السيوطي ـ (دار الكتب العلمية).
٥. إيجاز البيان عن معاني القرآن ـ أبو القاسم النيسابوري ـ (دار الغرب الإسلامي).
٦. تاج العروس ـ الزبيدي ـ (دار الهداية).
٧. التحرير والتنوير ـ ابن عاشور ـ (الدار التونسية).
٨. تذكرة الأريب في تفسير الغريب ـ ابن الجوزي ـ (دار الكتب العلمية).
٩. تفسير ابن أبي حاتم (مكتبة نزار).
١٠. تفسير الشعراوي (مطابع أخبار اليوم).
١١. تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ (دار طيبة).
١٢. التفسير القيم ـ ابن القيم (جمع محمد أويس الندوي) ـ (دار الهلال).
١٣. تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ (الهيئة المصرية العامة للكتاب).
١٤. تفسير النسَفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ النسفي ـ (دار الكلم الطيب).
١٥. تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (دار الكتب العلمية).
١٦. التفسير الوسيط ـ الواحدي ـ (دار الكتب العلمية).
١٧. تفسير يحيى بن سلام (دار الكتب العلمية).
١٨. تهذيب اللغة ـ الأزهري ـ (دار إحياء التراث العربي).
١٩. تيسير الكريم الرحمن ـ السعدي ـ (مؤسسة الرسالة).

٢٠. جامع البيان في تأويل القرآن ـ الطبري ـ (دار هجر).
٢١. جامع الترمذي (مكتبة مصطفى الحلبي).
٢٢. الجامع المسند الصحيح» ـ البخاري ـ (دار طوق النجاة).
٢٣. الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ (دار الكتب المصرية).
٢٤. دستور الأخلاق في القرآن ـ محمد بن عبد الله دراز ـ (مؤسسة الرسالة).
٢٥. السراج المنير ـ الخطيب الشربيني ـ (مطبعة بولاق).
٢٦. السلسلة الضعيفة ـ الألباني ـ (دار المعارف).
٢٧. السنن ـ أبو داود (المكتبة العصرية).
٢٨. السنن ـ النسائي ـ (مكتب المطبوعات الإسلامية).
٢٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ الجوهري ـ (دار العلم للملايين).
٣٠. صحيح سنن ابن ماجه ـ الألباني ـ (المكتب الإسلامي).
٣١. صحيح سنن أبي داود ـ الألباني ـ (المكتب الإسلامي).
٣٢. صحيح سنن الترمذي ـ الألباني ـ (المكتب الإسلامي).
٣٣. صحيح سنن النسائي ـ الألباني ـ (المكتب الإسلامي).
٣٤. صفوة التفاسير ـ الصابوني ـ (دار الصابوني).
٣٥. ضعيف سنن أبي داود ـ الألباني ـ (دار غراس).
٣٦. العين ـ الخليل بن أحمد ـ (دار الهلال).
٣٧. غريب القرآن ـ ابن قتيبة ـ (دار الكتب العلمية).
٣٨. فتح الباري ـ ابن حجر ـ (دار المعرفة).
٣٩. في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (دار الشروق).
٤٠. قاموس القرآن = إصلاح الوجوه والنظائر ـ الدامغاني ـ (دار العلم للملايين).
٤١. القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ (مؤسسة الرسالة).

٤٢. قواعد الأحكام في مصالح الأنام - ابن عبد السلام - (مكتبة الكليات الأزهرية).
٤٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - (دار الكتاب العربي).
٤٤. الكليات - الكفوي - (مؤسسة الرسالة).
٤٥. لسان العرب - ابن منظور - (دار صادر).
٤٦. مجاز القرآن - أبو عبيدة - (مكتبة الخانجي).
٤٧. مجمع الزوائد - الهيثمي - (مكتبة القدسي).
٤٨. محاسن التأويل - القاسمي - (دار الكتب العلمية).
٤٩. المحكم والمحيط الأعظم - ابن سيده - (دار الكتب العليمة).
٥٠. مختار الصحاح - الرازي - (المكتبة العصرية).
٥١. مسند الإمام أحمد (مؤسسة الرسالة).
٥٢. المسند الصحيح - مسلم - (دار إحياء التراث العربي).
٥٣. مشارق الأنوار على صحاح الآثار - القاضي عياض - (المكتبة العتيقة ودار التراث).
٥٤. مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام - عبد الله الطريقي - (وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية).
٥٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - الفيومي - (المكتبة العلمية).
٥٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - (دار إحياء التراث العربي).
٥٧. معاني القرآن - الأخفش - (مكتبة الخانجي).
٥٨. معاني القرآن - الفراء - (دار المصرية للتأليف والترجمة).
٥٩. معاني القرآن - النحاس - (جامعة أم القرى).
٦٠. معترك الأقران في إعجاز القرآن - السيوطي - (دار الكتب العلمية).

٦١. المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ (دار الدعوة).
٦٢. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ـ الرازي ـ (دار إحياء التراث العربي).
٦٣. المفردات في غريب القرآن ـ الأصبهاني ـ (دار القلم).
٦٤. مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ (دار الفكر).
٦٥. المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ لجنة من علماء الأزهر ـ (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).
٦٦. الموسوعة الفقهية الكويتية ـ وزارة الأوقاف الكويتية ـ (وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية).
٦٧. الموطأ ـ الإمام مالك ـ (دار إحياء التراث العربي).
٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير ـ (المكتبة العلمية).
٦٩. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ـ صديق حسن خان ـ (دار الكتب العلمية).
٧٠. وجوه القرآن الكريم ـ إسماعيل الحيري ـ (دار السقا).
٧١. الوجوه والنظائر ـ أبو هلال العسكري ـ (مكتبة الثقافة الدينية).